الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي – صالحي أحمد- النعامة Naama University center-Salhi Ahmed-
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الدراسات القرآنية بعنوان :

أسلوب الالتفات ودلالته في القرآن الكريم

ميدان :العلوم الإنسانية والاجتماعية فرع :العلوم الإسلامية شعبة: لغة وحضارة تخصص : اللغة العربية والدراسات القرآنية

❖ إشراف الأستاذ:

د: ربيعي ميلود

إعداد الطالب(ة):

بن حميدة مصطفى

الموسم الجامعي : 2025/2024 الموافق لـ1447/1446هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمـــهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة قسم العلوم الإسلاميّة

تصـــــــريح شـــــــــرفي

خـــــاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمـــــية لإنجـــــــاز بحث

أنا الممضي أسفله: ..بن حميدة مصطفى.

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالب.

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : .207342736.

الصادرة بتاريخ .2022/01/06.:

المسجل (ة) بكلية / معهد .العلوم الإنسانية والاجتماعية:.

قسم: العلوم الاسلامية. .رقم التسجيل..450120242397703176.

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير– أطروحة دكتوراه) عنوانها .أسلوب الالتفات ودلالته في القرآن الكريم:..

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2025/06/12.

توقيع المعني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

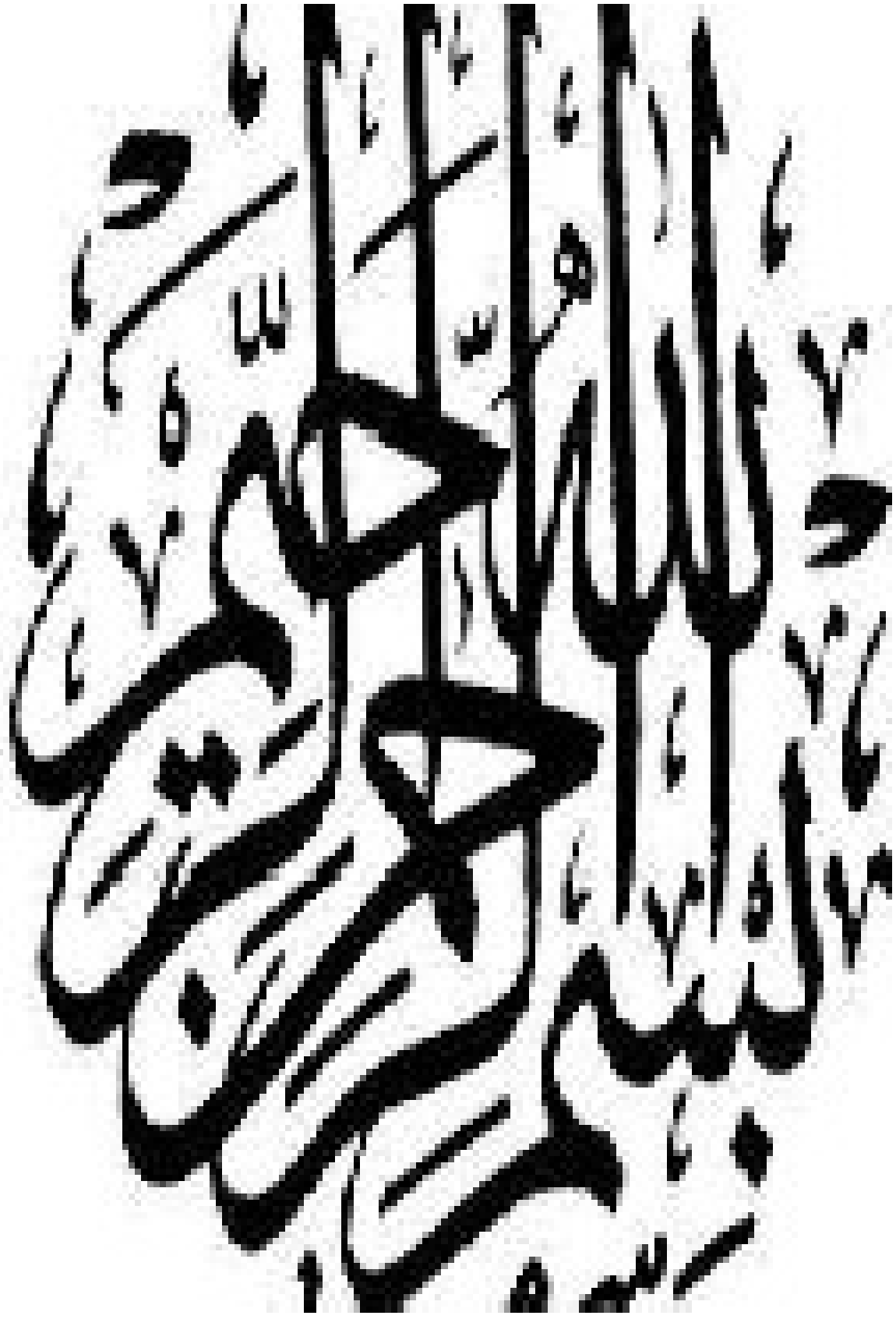

إهداء

إلى التي أنارت دربي في هذه الحياة وذللت الصعاب أمامي وأوصلتني إلى بر الأمان {أمي الحبيبة} أطال الله في عمرها ورزقها الصحة والعافية.

إلى أعز ما وهبني الله في هذا الوجود أبنائي الأعزاء وفقهم الله وسدد خطاهم ورزقهم الهداية والصلاح.

شكر وعرفان

أولا أشكر الله تعالى أن وفقني لإنجاز هذه المذكرة وأعانني على إتمامها.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر كل من لم يبخل علي بتوجهاته وملاحظاته القيمة خاصة الأستاذ الخبير بوخيط عبد الرحيم وكذا الشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور ربيعي ميلود على كل المجهدات المبذولة من أجل إتمام هذا العمل وإلى كل أساتذة المركز الجامعي بالنعامة خاصة قسم العلوم الإسلامية.

ملخص البحث

القرآن الكريم هو كلام الله المبين الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه المنزل على سيد الفصحاء و خاتم الانبياء سيدنا محمد وعلى آله و أصحابه الطاهرين.

لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله قال تعالى " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "الإسراء88، ذلك لأن القرآن يقف على أعلى مراتب البلاغة و الفصاحة ,و أسلوب الالتفات من أحد فروع و موضوعات هذه البلاغة حيث تبين من خلاله روعة البيان القرآني التي اشتمل عليها القرآن الكريم ,فهو من أجل علوم اللغة فهو أمير جنودها لا تكاد تخلو سورة من القرآن الكريم منها ,له سمات بلاغية مميزة وراء تحوله من أسلوب الى آخر, وهذا يجعله مميزا عن غيره من الأساليب البلاغية، وقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث المتواضع مجموعة من المصادر و المراجع خاصة التفسير البلاغي للقرآن الكريم قصد معرفة آيات الالتفات و نكته وأسراره وما تنطوي عليه كل آية من دلالات بلاغية.

ـ تدرج مفهوم الالتفات من حصره وتقييده عند القدامى "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم, الخطاب و الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها" إلى التوسع والتسهيل عند المحدثين "صرف الكلام من أسلوب إلى آخر".

ـ الزمخشري في تفسيره الكشاف ذكر الفائدة العامة للالتفات وهي بيان الإعجاز القرآني مع وجود فوائد وأسرار ومزايا خاصة في كل آية تختلف عن آية أخرى.

ـ الالتفات أسلوب بياني بديع يحمل دلالات بلاغية عميقة ويسهم في إضفاء الحيوية و التجدد على النص القرآني, لم يكن الالتفات اعتباطيا بل جاء محكوما بسياق النص معززا لمعانيه, وموجها للمتلقي, نحو تأمل أعمق و فهم أدق . فهو أسلوب إعجاز القرآن البياني استخدم لإثارة الانتباه و التشويق.

Research summary:

The Noble Qur'an is the clear word of Allah, which falsehood can not defeat. Revealed to the Master of the eloquent, the Seal of the Prophets, our Master Muhammad, and upon his family and his good followers . quota;
No one can produce something semiliquid; as Allah said : { If ˹all˺ humans and jinn were to come together to produce the equivalent of this Quran, they could not produce its equal, no matter how they supported each other{ ((Surah Al -Israa 88)).

Duo to the fact that, the Quran stands at the highest levels of eloquence and rhetoric. The style of reflection is one of the branches and topics of this rhetoric, through which the magnificence of the Quranic expression contained in the Holy Quran is revealed. It is one of the most finest sciences of the language and the prince of its soldiers. There is hardly a surah of the Holy Quran that is devoid of it. It has distinctive rhetorical features behind its transformation from one style to another,

and this is what makes it distinct from other rhetorical styles.

In completing this modest research, I relied on a group of sources and references, especially rhetorical interpretation, in order to know the verses of reflection and their secrets and the rhetorical connotations contained in each verse.

The concept of reflection has progressed from its limitation and restriction among the ancients, "expressing a meaning in one of the three ways: speaking, addressing, or absentmindedness, after expressing it in another way among them," to its expansion and facilitation among the moderns, "diverting speech from one style to another".

Al-Zamakhshari in his interpretation "Al-Kashif" mentioned the general benefit of reflection , which is to explain the miracle of the Qur'an, with the presence of special benefits, secrets and advantages in each Surah that differ from the other.

Reflection is a unique rhetorical device that carries profound rhetorical connotations. It contributes to adding vitality and creativity to the Quranic text. This is not in vain, but rather enhances its meanings and directs the recipient toward deeper contemplation and more precise understanding. It is a miraculous device used to attract attention and create suspense.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة و السلام على رسوله المصطفى واله وصحبه الاخيار أهل الصدق و الوفى وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

اما بعد:

فإن كتاب الله لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي فرائده، إنه القرآن الكريم كتاب إعجاز بلاغي وبياني قبل أن يكون كتاب شريعة و هداية، فقد تعددت أساليبه، وتنوعت فنونه اللغوية، بما يدهش العقول و يأسر الألباب، وأن البلاغة هي مستودع سر علوم العربية ومظهر جلالها فلا فضيلة و لا مزية لكلام إلا ما يحويه من لطائفها و يودع فيه من خصائصها، ولا غلبة لمتكلم على آخر إلا بما يحوكه من وشيها, وينفث من سحرها, ويجنيه من يانع ثمارها.

ومن أساليب البلاغة أسلوب الالتفات إذ جوهره انتقال من أسلوب إلى أسلوب فهو أداة بلاغية تضفي على النص القرآني بعدا فنيا و جماليا، فتثير انتباه السامع وتكسر رتابة السرد كما يحمل الالتفات دلالات معنوية عميقة ترتبط بسياق الآية ومقاصدها فتسهم في توصيل الرسالة الإلهية بطريقة تلامس القلوب و العقول .

فقد سماه العرب "بشجاعة العربية" التي تعني الإقدام في كل أمر و حاله كحال الرجل الشجاع الذي يتقدم قومه في الأمور الصعبة.

ومن هنا جاء موضوع بحثي تحت عنوان" أسلوب الالتفات ودلالته في القرآن الكريم"لمحاولة الغوص في أحد روافد بلاغة القرآن الكريم ومعرفة دلالة القرآن في الالتفات فوائده واسراره.

فانطلاقًا من أهمية هذا الأسلوب الفريد في فهم البيان القرآني تأتي هذه الدراسة ومنه يمكن طرح الإشكالية التالية: ماهيــة الالتفات وما دلالته في القرآن الكريم ؟.

التي اندرجت تحتها مجموعة الاشكاليات الفرعية:

ما تعريف الالتفات؟، وما أقوال علماء البلاغة فيه؟وما شروطه وفوائد وأقسامه؟وما دلالة الالتفات في القران الكريم؟.

وفي محاولة منا على الإجابة على هذه التساؤلات فقد قسمت بحثي هذا إلى فصلين الفصل الأول إلى ثلاثة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن تعريف الالتفات، حيث قمت بتعريفه لغة واصطلاحا، هذا حسب ما عرفه اللغويون ثم تطرقت إلى أقوال البلاغيين فيه القدامى منهم والمحدثين، أما المبحث الثاني فخصصته لشروط الالتفات وفوائده، في حين تناول المبحث الثالث تقسيمات الالتفات من حيث انتقال الضمير خاصة .

بتعريفه" التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم ,الخطاب و الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها".

في حين تناولت في الفصل الثاني فواصل مختارة للالتفات في القرآن الكريم اعتمدنا على مصادر التفسير البلاغي للقرآن الكريم.

وقسمت الفصل الثاني إلى ثلاثة مباحث تحدثنا في المبحث الاول عن الالتفات في الغيبة مع ذكر دلالة الالتفات في كل موضع مختار ,في حين خصصنا المبحث الثاني للالتفات في المخاطب معتمدين دائما على التفسير البلاغي للقران الكريم ,أما المبحث الثالث عن الالتفات في المتكلم إلى المخاطب وإلى الغائب, وسنتطرق كذلك إلى تقسيم الالتفات في العدد بإيجاز.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في إعطاء بعض المفاهيم حول الموضوع، و تحليل الظاهرة لإيضاح أو الوصول لنكتة الالتفات في الآية، ثم اختتم البحث بخاتمة فيها مجمل ما توصلتنا إليه من نتائج, وقد كانت هناك دراسات سابقة لموضوع بحثنا التي اعتبرناها لبنة الانطلاقة في مذكرتنا وهي مذكرة ماجستير المعنونة بـ: الالتفات ودلالته في القرآن الكريم لطالب :سبع بلمرسلي من جامعة وهران,ركز في مذكرته على الالتفات المتفق عليه و المختلف فيه ,في حين تناولت دراستنا أقسامه من حيث انتقال الضمير.

وطبعا ككل بحث أكاديمي اعتمدت على مجموعة من بعض المصادر والمراجع منها: الكشاف للزمخشري التحرير و التنوير الطاهر بن عاشور، تفسير الألوسي، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تفسير لأبي السعود، وغيرها والتي سيتم ذكرها في فهرسة المراجع.

واجهت بعض الصعوبات في بحثي منها: ضيق الوقت خاصة وأن هذا الموضوع يتطلب دراية وافية بعلوم القرآن عامة والتفسير خاصة، تشعب الموضوع مما تطلب منا حصره في انتقال الضمير.

في الاخير أشكر كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل المتواضع خاصة الأستاذ الخبير بومخيط عبد الرحيم، والأستاذ المشرف، ربيعي ميلود على كل التوجيهات، والملاحظات القيمة.

الفصل الأول: الالتفات عند البلاغيين

المبحث الأول: مفهوم الالتفات و أقوال البلاغيين فيه

المبحث الثـــاني: شروط الالتفات وفوائده

المبحث الثالث: أقسام الالتفات

المبحث الأول:

مفهوم الالتفات و أقوال البلاغيين فيه

تمهيد:

من أهم الأشياء التي يتوجب على الباحث أخذها بعين الاعتبار أثناء الشروع في عملية بحثه هي الإلمام بالإطار النظري لهذه الدراسة، إذ لا يمكن له أن يخوض في مجال التطبيق دونما إلمام منه بمفردات منهجه ودواعي تحضيره.

وكذا لابد عليه من رسم الخطوط العريضة التي ينبثق منها عمله انطلاقا من تحصيله لمعطيات ومبادئ عامة في مجال دراسته، حتى يضمن الدقة الموضوعية.

ويعد أسلوب "الالتفات" من أَجَلِ علوم العربية، وأَميرِ جنودها،فهو بديع فنون البلاغة إذ أنه على المستوى الفني "من الظواهر التي تتحكم في الأساليب بصيغة الحضور الفاعل والمؤثر، وكأن الإلتفات - وهو يواصل أداء دوره الفني – يحقق الاستجابة الطبيعية لنزوع الإنسان إلى التنوع والتجديد في أساليب تعبيره وصيغ كلامه.

المبحث الأول: مفهوم الإلتفات و أقوال البلاغيين فيه

من عادة العرب أن لا تسير على أسلوب واحد في كلامها، بل تنتقل من أسلوب لآخر، لدفع السآمة عن المستمع، أو لغير هذا من المقاصد التي تتحراها في كلامها، وهذا الأسلوب في الانتقال في الكلام فن بديع من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب والبلاغة (الالتفات).

وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث من خلال تقسيمه الى مطلبين حيث نتطرق في المطلب الأول إلى إعطاء تعريف للالتفاف أما المطلب الثاني فسنخصصه لتدريجات الإلتفاف.

المطلب الأول: تعريف الإلتفات

يعد الالتفات من المواضيع التي تناولها علماء اللغة في كتبهم، وأولوه مزيد اهتمام لما له من أهمية في البلاغة العربية عموما والبلاغة القرآنية خصوصا.

الفرع الأول: تعريف الالتفات لغة

كلمة الالتفات في اللغة مادتها: لفت. والناظر في المعاجم اللغوية يجد أن هذه المادة تدور حول المعاني الآتية:

1- الصرف:

يقال : لَفَتَ وجهه عنِ الْقَوْم: صَرَفه، والْتَفت التِفاتاً، والتَّلَفُّتُ أَكثر منه.

وتَلَفَّتَ إِلى الشيْء والْتَفَتَ إِليه: صَرَف وجْهَه إِليه.[1]

قَالَ:

أَرَى المَوْتَ، بَيْنَ السَّيْفِ والنِّطْع، كامِناً، ... يُلاحِظُنِي مِنْ حيثُ مَا أَتَلَفَّتُ

وَقَالَ:

[1]: سبع بلمرسلي، الالتفات ودلالته في القرآن الكريم، مذكرة ماجستير، جامعة وهران ، السانية، السنة الجامعية، 2005-2006، ص25.

فَلَمَّا أَعادَتْ مِنْ بعيدٍ بنَظْرةٍ ..... إِلَيَّ الْتِفاتاً، أَسْلَمَتْها المَحاجِرُ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾،هود(81)، أُمِر بتَرْك الالْتِفات، لِئَلَّا يَرى عظيم ما يَنْزل بِهِم مِن الْعَذَاب.[1]

وفِي الْحَدِيث فِي صِفَتِه، ﷺ: فإِذا الْتَفَتَ، الْتَفَتَ جَمِيعًا؛ أَراد أَنه لا يُسارِقُ النَّظَ؛ وَقِيلَ: أَراد لا يَلْوي عُنُقه يَمْنة ويَسْرة إِذا نظَر إِلى الشيءِ، وإِنما يَفْعَلُ ذَلِك الطائشُ الخَفيف، وَلَكن كان يُقْبِل جَمِيا ويُدْبِر جَمِيعا.[2]

وفِي الْحديث:فكانت مِني لَفْتةٌ؛ هِيَ المَرَّة الْوَاحِدةمِنَ الالْتِفات واللَّفْتُ :اللَّيُّ .

ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتاً :لَوَاه عَلى غَيْر جِهَتِه؛ وَقِيلَ: اللَّيُّ هُوَ أَن تَرْمِي بِهِ إِلى جانبك .

ولَفَتَه عَن الشيء يَلْفِتُه لَفْتا :صَرفه. الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِه، عَز وَجَل: أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَما وَجَدْنا عَلَيْه آباءَنا؟ اللَّفْتُ :الصَّرْفُ؛ يُقَال: مَا لَفَتَك عَنْ فلان أَي مَا صَرَفَك عَنه؟ واللَّفْتُ :لَيُّ الشيء عَن جهتِه، كَمَا تَقْبِض عَلى عُنُق إِنسان فتَلْفِته؛ وأَنشد :ولفَتْن لَفْتاتٍ لَهُنَّ خَضادُ ولَفَتُّ فُلَانًا عَنْ رأْيه أَي صَرَفْتُه عَنْهُ، وَمِنْهُ الالْتِفات.

واللَّفُوتُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي تُكْثِرُ التَّلَفُّتَ، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي يَمُوت زَوْجُها أَو يُطَلِّقُها ويَدَع لها صِبْياناً، فَهِي تُكثِر التَّلَفُّت إِلى صِبْيانها، وَقِيل: هِيَ الَّتِي لَها زَوْج، وَلَها وَلَد مِن غَيْرِه، فَهِي تَلَفَّت إِلى ولَدها. وَفِي الْحَدِيثِ: لَا تَتَزَوَّجَنَّ لَفُوتاً، هِيَ الَّتِي لَهَا وَلَدٌ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ، فَهِيَ لَا تَزَالُ تَلْتَفِتُ إِليه وتَشْتَغِلُ بِهِ عَنِ الزَّوْج.

وَفِي حَدِيثِ الْحَجَّاجِ أَنه قَالَ لامرأَة: إِنكِ كَتُونٌ لفوتٌ أي كَثِيرَةُ التَّلَفُّتِ إِلى الأَشياء.

وَقَالَ ثَعْلَبٌ: اللَّفُوتُ هِيَ الَّتِي عَيْنُها لَا تَثْبُت فِي مَوْضِع وَاحِد، إِنما هَمُّها أَن تَغْفُل عَنْها، فتَغْمز غيرك؛[3] وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي فِيهَا الْتِواءٌ وانْقِباضٌ؛ وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْر: اللَّفُوتُ الَّتِي إِذا سمعتْ كلامَ الرجُل التَفَتَتْ إِليه؛ ابْنُ الأَعرابي قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لابْنِه إِيَّاكَ والرَّقُوبَ الغَضُوبَ القَطُوبَ اللَّفُوتَ؛ الرَّقُوبُ: الَّتِي تُراقِبُه أَن يموتَ فَترِثَه. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"، حِينَ

[1] : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي، ثم الدمشقي.

[2] : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ج2، ص 84.

[3] : المصدر نفسه، ص85.

وصَفَ نَفْسَه بِالسِّيَاسَةِ، فَقَالَ: إِني لأَرْبِعُ، وأُشْبِعُ، وأَنْهَزُ اللَّفُوتَ، وأَضُمُّ العَنُودَ، وأُلْحِقُ العَطُوفَ، وأَزْجُرُ العَرُوض.[1]

2- اللَّيُّ:

يقال لَفَتَ الشيء، وفَتَلَه إِذا لَوَاهُ، وَهَذَا مَقْلُوبٌ. يقال: فُلَان يَلْفِتُ الكلامَ لَفْتا أَي يُرْسِلُه وَلَا يُبالي كَيْف جاء. والمعنى أَنه يَقْرَأَه مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، وَلَا تَبَصُّرٍ وتعَمُّدٍ للمأْمور بِهِ، غيرَ مُبالٍ بِمَتْلُوِّه كَيْفَ جَاءَ، كَمَا تَفْعَلُ البقرةُ بالحَشيش إِذا أَكَلَتْه.

وَفِي حَدِيثِ حُذيفة: إِنَّ مِن أَقْرَإِ الناسِ لِلْقُرْآنِ مُنافِقاً لَا يَدَعُ مِنْهُ وَاوًا وَلَا أَلِفاً، يَلْفِتهُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَلْفِتُ البَقرةُ الخَلى بِلِسَانِهَا؛ اللَّفْتُ :اللَّيُّ .

وأَصلُ اللَّفْتِ : لَيُّ الشَيْء عَن الطَّرِيقَة الْمستقيمة.[2]

وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَليغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَلْفِتُ الكلامَ كَمَا تَلْفِتُ البقرةُ الخَلى بِلِسَانِهَا؛[3] يُقَالُ: لَفَتَه يَلْفِتُه إِذا لَوَاهُ وفَتَلَه؛ ولَفَتَ عُنُقَه: لَوَاهَا. اللِّحْيَانِيُّ : ولِفْتُ الشيءِ شِقُّه، ولِفْتاه :شِقَّاه؛ واللِّفْتُ :الشِّقُّ؛ وقد أَلْفَته وتَلَفَّته .ولِفْتُه مَعَك أَي صَغْوُه. وَقَوْلُهُمْ: لَا يُلْتَفَتُ لِفْتُ فلانٍ أَي لَا يُنْظَرُ إِليه

.قَالَ أَبو جَميلٍ الكِلابيّ : اللَّفُوتُ الناقة الضَّجُور عِنْد الحَلب، تَلْتَفِت إِلى الحالِبِ فتَعَضُّه، فيَنْهَزُها بِيَدِه فَتَدِرُّ، وذلك لتَفْتَدِيَ باللَّبن مِنَ النَّهْزِ، وَهُوَ الضَّرب، فَضَربها مَثَلًا لِلَّذِي يَسْتَعْصِي ويَخْرُج عَن الطاعَة[4] .

والمُتَلَفَّتَةُ : أَعْلى عَظْمِ العاتِقِ مِمَّا يَلي الرَّأْسَ .

والأَلْفَتُ :القَوِيُّ اليَدِ الَّذِي يَلْفِتُ مَنْ عالجَه أَي يَلْويه .

والأَلْفَتُ فِي كَلَامِ تَميم: الأَعْسَرُ، سُمِّيَ بِذَلِك لأَنه يَعْمل بجانِبه الأَمْيَل؛ وَفِي كَلَامِ قَيْسٍ: الأَحْمَقُ، مِثْلُ الأَعْفَتِ، والأُنْثَى :لَفْتاءُ .وكُلُّ مَا رَمَيْتَهُ لِجانِبكَ: فقدْ لَفَتَّه .واللَّفاتُ أَيضاً: الأَحْمَقُ .

---

[1] : محمد ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ص85.

[2]: سبع بلمرسلي، الالتفات ودلالته في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص26.

[3] : محمد ابن منظور، المصدرالسابق، ص85.

[4]: عبد الرحمان بن علي الجوزي، غريب الحديث، تح: د عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، ج2، ص326.

واللَّفُوتُ: العَسِرُ الخُلُق. الْجَوْهَرِيُّ :واللَّفاتُ الأَحْمَقُ العَسِرُ الخُلُق.[1]

3- الخلط:

ولَفَتَ الشيءَ يَلْفِتهُ لَفْتاً :عَصَدَه، كَمَا يُلْفَتُ الدقيقُ بالسَّمْن وَغَيْرِهِ .واللَّفِيتَةُ :أَن يُصَفَّى ماءُ الحَنْظَلِ الأَبْيَضِ، ثُمَّ تُنْصَبَ بِهِ البُرْمةُ، ثُمَّ يُطْبَخَ حَتَّى يَنْضَجَ ويَخْثُر، ثُمَّ يُذَرَّ عَلَيْهِ دقيقٌ؛

واللَّفِيتَةُ: العَصِيدة المُغَلَّظةُ؛ وَقِيلَ: هِيَ مَرَقة تُشْبهُ الحَيْسَ؛ وَقِيلَ :اللَّفْتُ كالفَتْلِ، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْعَصِيدَةُ لَفِيتَةً، لأَنها تُلْفَتُ أَي تُفْتَلُ وتُلْوَى. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنه ذَكَرَ أَمره فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وأَن أُمه اتَّخَذتْ لَهُمْ لَفِيتَةً مِنَ الهَبِيدِ؛ قَالَ أَبو عُبَيْدٍ :اللَّفِيتَةُ العَصِيدة المُغَلَّظةُ، وَقِيلَ: هِيَ ضَرْبٌ مِنَ الطَّبيخ، لَا أَقِفُ عَلَى حَدِّه؛ وَقَالَ: أُراه الحِساءَ ونحْوَه.

4- التقشير: يقال: لَفَتَ اللِّحَاءَ عَنِ الشَّجر لَفْتاً :قَشَرَهُ. [2]

5- النظر: يقال: لا يّلْتّفِتُ لّفْتّ فلان، أّي يّنْظُرُ إليهِ.[3]

6- الإصغاء: يّقولون أّلْفّتّهُ وتّلّفتّه، وتّلّفُتُه ولِفْتَّه معك، أي صّغْوهُ، وقال الزمخشري: "ومّالي إليه مُلْتّفت و مُتّلّفت، وإذا أخبرك فلا تلتفت لِفْته، ولا تّطَّلِع طِلْعّهُ".[4]

الفرع الثاني: تعريف الالتفات اصطلاحا

اضطربت أقوال البلاغيين في ماهية الإلتفات ومفهومه الاصطلاحي وسبب ذلك عائد إلى تعريفه في اللغة التي تندرج تحتها دلالات لغوية كثيرة، فبعضها حقيقي والبعض الآخر مجازي.

فقد بين أبو القاسم الزمخشري (ت 538 ه) مفهوم الالتفات عند تفسيره لقوله تعالى: ي﴿إِياكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة: 2 -5) : فإنْ قلتَ: لِمَ عدَل عن لفظ الغَيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلتُ: هذا يسمَّى (الالتفات) في علم البيان، قد يكون من الغَيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغَيبة، ومن الغَيبة إلى التكَلّم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾(يونس: 22)وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾(فاطر:9)

[1] : محمد ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص85.

[2] : سبع بلمرسلي، ، مرجع سابق، ص28.

[3] : محمد ابن منظور،لسان العرب،ج2، المصدر سابق، ص85.

[4] : سبع بلمرسلي، ، مرجع سابق، ص27.

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالإثْمدِ ... ونَـامَ الخَلِيُّ ولَم تَرْقُــدِ

وبَاتَ وباتَتْ لهُ لَيْلةٌ ... كلَيْلةِ ذِى العائرِ الأرْمَـدِ

وذلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنى ... وخُبِّرْتُهُ عن أَبى الأَسْوَدِ.[1]

وقد التَفَتَ امرؤ القيس ثلاثة التفاتات، وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرّفهم فيه؛ ولأن الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختصّ مواقعه بفوائد.[2]

أما فخر الدين الرازي (ت606 ه)، تحدث عن الالتفات في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " ، ونقل في مفهومه تعريفين: الأول: هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس. والثاني هو تعقيب الكلام بجملة تامة ملاقية إياه في المعنى ليكون تتميما له في المعنى على جهة المثل أو غيره.[3]

و عرفه السكاكي (ت 626 ه) بأنه: «نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثالثتها ينقل كل واحد منها
إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني»[4]، ويقصد بهذا أن مفهوم الالتفات هو تحويل الكلام من اتجاه إلى اتجاه آخر، ويكون بمخالفة الضمائر بعضها البعض، وقد أدرجه ضمن علم المعاني.

---

[1] : هذه الأبيات لامرئ القيس بن عانس، أو عابس بن المنذر، شاعر جاهلي وهو غير امرئ القيس الشاعر المشهور .والإثمد :مكان، والخلي :الخالي من العشق .العائر:
القذى في العين، الأرمد :المصاب بالرمد.
والشاهد قوله» وبات الخلي«، وقوله :وبات، وباتت له ليلة حيث استعمل» بات «ثلاث مرات فعلا تاما مكتفيا بفاعله .

[2] : محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، ج1، ص62-64.

[3] : فخر الدين محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: د إبراهيم السامرائي، د محمد بركات حمدي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 1985م، ص146-147.

[4] : أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم،تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية: ، الطبعة السابعة، بيروت ،2000م، ص296.

أما **ابن الأثير** (ت 651 هـ) فيرى أن الإلتفات: «حقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وعن شماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض[1] »، أي هو نوع من أنواع الكلام الخاص، لأن طريقة الكلام فيه تكون مخالفة للطريقة العادية، فيكون الانتقال فيه من صيغة إلى صيغة أخرى، بمعنى التغيير في وقد تكون هذه الصيغة ضميرا أو فعلا، مثل الانتقال من ضميرا المتكلم إلى الغائب أو العكس، أو نقل الفعل من صيغة الماضي إلى المستقبل، فالإلتفات عنده يكون بالضمائر والأفعال.

كما نجد تعريفا للزركشي (ت 794 هـ) للإلتفات وهو عنده: «نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع، وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل و الضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه»[2] ، فالإلتفات عنده هو حسن استعمال المتكلم للضمائر، ونقله الكلام من حال إلى حال آخر، فتارة يأتي به على جهة الغائب، وتارة أخرى على جهة المخاطب.

ومن الأمثلة التي ذكرها الزركشي قوله تعالى :﴿ وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

فالأصل يكون "إليه أرجع" ، فالتفت من ضمير المتكلم "أنا" إلى ضمير الخطاب "أنتم"، فأخرج الكلام بصفة أنه يقوم بنصح نفسه، ولكنه يريد نصح قومه تلطفا بهم، فتحدث عن نفسه ثم التفت إليهم، لأنه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله، فالالتفات هذا الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب.[3]

---

[1] : ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية: بيروت، دط، ج1 ،ص408.

[2] : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ،ج3، ص314.

[3] : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص315.

وبالرغم من الاختلافات الموجودة بين اللغويين حول إعطاء مفهوم واحد للالتفات، إلا أن المفهوم الاصطلاحي يبقى يدور حول معنى واحد عند علماء اللغة، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر وأدرجه المتأخرون ضمن علم البديع.

والملاحظ أن التعريف الاصطلاحي لا يخرج عن التعريف اللغوي إذ يعني في اللغة الانصراف والتحول من حالة إلى حالة أخرى، وفي الاصطلاح هو الانتقال من ضمير إلى ضمير ومن زمن إلى زمن آخر.

المطلب الثاني: أقوال البلاغيين في الالتفات

لقد لقي أسلوب الالتفات اهتماما كبيرا من طرف العلماء القدامى والمحدثين، حيث حفلت كتبهم بدراسته.

الفرع الأول: أقوال البلاغيين القدامى

إن أول من تطرق إلى الالتفات هو "أبو عبيدة معمر بن المثنى" (209هـ) " في ثنايا كتابه " **مجاز القران** " فتراه يقول: ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ أي بكم".[1] سورة يونس الآية :22.

ويرجع الفضل في تسمية المصطلح إلى "الأصمعي (216هـ) حيث ذكر أنه من الأوائل الذين ذكروا مصطلح الإلتفات وذلك « حين سأل إسحاق الموصلي بقوله : أتعرف التفات جرير؟ قال: لا قال: فأنشدني قوله:

أتنسى إذا تواعدنا سليــمى بعود بشامة سقي البشـام

طرب الحمام بذي الأراك فشاقني لازلت في غلل وأيك ناظري

أما تراه مقبلا على شعره حتى إذا التفت إلى البشام فدعا له ».[2]

[1] : مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، دط، 2009، ص91,

[2] : عبد الناصر هلال، الالتفات البصري في النص إلى الخطاب قراءة في تشكيل القصيدة الجديدة، دار الإيمان للنشر والتوزيع ، د س، د ط، ص20.

أما "ابن جني" (392هـ)، فلم يذكر في كتابه خصائص الالتفات، إنما وجد ماله صلة به في الفصل الذي سماه "الحمل على المعنى " يقول: " اعلم أن هذا الشرج غور من العربية بعيد ومنصب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن، وفصيح الكلام منثورا ومنظوما، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد (...) فمن تذكير المؤنث كقوله تعالى: ﴿ فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، (البقرة 275)، لأن الموعظة والواعظ واحد".[1]

أما "ابن فارس" (395هـ) قد أورد أغلب صوره في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" ووزعها على أبواب مختلفة، نذكر من بينها ":باب الواحد يراد به الجميع، « ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد به الجميع، كقوله للجماعة ضيف وعدو» قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ﴾ (الحجرات الآية 68).

وباب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب قال العرب تخاطب الشاهد ثم تحول الخطاب الى الغائب (.....)، وفي كتاب الله عز وجل: :﴿ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم 39)، وغيرها من الأبواب كثيرة.[2]

كما نجد السيوطي (911هـ) قد أورده بمعنى الاعتراض، حيث قال:«الاعتراض سماه قدامة التفاتا، وهو الإثبات بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين، اتصالا، معنى لنكتة غير دفع الابهام كقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ ، فقوله سبحانه إعترض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها [...] ووجه حسن الإعتراض، حسن الإفادة، مع أن مجيئه مجيء ما لا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب.[3]

[1] : ابن جني، خصائص الالتفات، تح :محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس، ص411.

[2] : ابن فارس الصاحبي، في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح :مصطفى الشويمي، مؤسسة بدارن للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، د ط ، 1963، ص211-212.

[3] : جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د س، ج2، ص97.

وتجدر الإشارة إلى أن الإلتفات عند القدماء لم يثبت على مصطلح واحد، فقد تعددت تسمياته " فنجد عبد الله القرطبي (671ه) يطلق عليه اسم التلوين، ويراه حازم القرطاجني (684ه) صورا من صور الإنعطاف الجميل الذي يتم بدون واسطة تمهد لذلك التحول".[1]

وكذلك أطلق عليه: العكس، والإنصراف، والإستدراك، والإعتراض والصرف، والعدول مخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة عربية، وهي كلها تصب في خانة واحدة وهي: الإلتفات.

الفرع الثاني: أقوال البلاغيين المحدثون

لم يكتب البلاغيون المعاصرون عن الالتفات بمفهوم جمالي الا بعد عام (1990م)، ولا شك أن الكتابة عن الإلتفات هي محل إضافة في البحث البلاغي.[2]

فنجد مثلا "رجاء عيد " قد عده من علم المعاني، وقال بأنه: "نسق أدائي خاص ببناء الجملة "، كما أشار الى تضارب البلاغيون حول القيمة الفنية للإلتفات، حيث عاب على **الزمخشري** قوله بأنه إيقاظ للسامع وإستمالة للإصغاء، وبين أن **ابن الاثير** قد كان مدركا لقيمته الفنية حين رد على **الزمخشري** قوله، وقال بأن قدح في الكلام لا وصف له، لأنه لو كان حسنا لما ملً.[3]

أما تامر سلوم في كتابه "نظرية اللغة والجمال في النقد العربي" قد أورد بعض القضايا التي تناولها "أبو عبيدة معمر بن المثنى "مثل التقديم و التأخير والحذف وغيرها في كتابه "مجاز القرآن "فنجده يقول عنه إنه « لم يستطع أن يلتمس التأثير النفسي لطابع التعبير، ولا أن يتابع إيحاءاته الأدبية إلا في ضوء الإحتفال بتعريف الأشياء وتقسيماتها [...]، ويتجلى لنا شحوب هذا الموقف إذا اقتربنا من بعض النصوص».[4]

ونجد "عبد الجليل مرتاض" يشير إلى أن الإلتفات: « تراكيب عتيقة وأصيلة، وأنه تركيب يدخل في صميم الخطابات الإبداعية لما فيه من تنويع بطرق تقنية عالية وسر ذلك الانتقال

[1] : مصطفى شريقن، ، مرجع سابق، ص107-108.

[2] : عمارة عبد المالك، بلاغة الالتفات في القران الكريم(دراسة تفسيرية)، د ط، سنة 2024م، ص9.

[3]: رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ط2، د س، ص479.

[4] : تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1983، ص146.

بصورة مفاجئة من خطاب إلى غائب، أو العكس، أو الإنطلاق من الغائب مرورا بضمير المتكلم.....ليس من الأمر الهينة في أي خطاب أدبي ».[1]

فالالتفات عنده لا يخرج عما أورده علماء البلاغة باعتباره إنتقالات بين الضمائر وفق الطرائق المعلومة.

والملاحظ على مفاهيم الإلتفات عند المحدثين أنها لا تخرج عما أورده القدماء في تعاريفهم.

[1] : مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، مرجع سابق، ص134.

المبحث الثاني: شروط الإلتفات وفوائده

لكي يتحقق الإلتفات لابد من توفر شروط (المطلب الأول)، كذا أهمية هذا اللون البلاغي له العديد من الفوائد بما أضافه من إثارة النفس لبعث الشوق والرغبة في تتبع القراءة والاستزادة منها (المطلب الثاني).

المطلب الأول: شروط الالتفات

هناك شروط يجب توفرها في الالتفات حتى لا يحدث التباس أو خطأ أو عدم تحديد دقيق لهذا اللون البلاغي المهم ومن أهم هذه الشروط .

الفرع الأول: أن يكون الإلتفات في الجملتين ولا يكون في جملة واحدة

هذا الشرط لا نجده عند الزمخشري ولا نجده أيضا عند السكاكي.[1]

فالتفاتات الزمخشري ليس بها هذا الشرط في كشافه، والقرآن الكريم مليء بالإلتفاتات التي في جملة واحدة. قال تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ الإسراء(1)، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّه تواباً رحيماً ﴾، النساء(64)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ أمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ النساء(47).

على ذلك فهذا الشرط غير ضروري وقد ثبت أن القران الكريم به إلتفاتات كثيرة حسب الزمخشري في جملة واحدة.[2]

الفرع الثاني: أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر الملتفت عنه بعد التعبير عنه بأخر منها

فالإلتفاتات من الأساليب البلاغية الدقيقة فهو ليس مجرد تحول لفظي من أسلوب لأسلوب ولكنه نقل معنوي أيضا يحتاج إلى رقة الحس وشعور مرهف وإدراك عميق وشرطه:[3]

---

[1]: إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر، الالتفات في القرآن الكريم مقاصده البلاغية والإعجازية، دار معتز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2017م، ص124.

[2] : المصدر نفسه، ص125.

أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر الى الملتفت عنه ويحترز عن مثل (أكرم زيد) (وأحسن إليه) فضمير أنت الذي هو فاعل أكرم غير الضمير في إليه وليس التفات وإنما قلت في نفس الأمر لأنه بطريق الادعاء يعود لغيره فحينئذ إذا كان الضمير الأول في محله بالاعتبار الواقع في نفس الأمر فقلت: "إني أخاطبك فأجب المخاطب" كنت أعدت الضمير في المخاطب وهو ضمير غيبة على نفسك وليس ذلك وقع لضمير الغائب موضع المتكلم بل جردت منه مثل نفسك وأمرته بأن يجيبه.[1]

الفرع الثالث: مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

والمشهور عند الجمهور أن الإلتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه ظاهر السياق وان كان موافقا لظاهر المقام، فلا يعد منه الخطاب الثاني في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة/4، وإنما حصل الالتفات بالأول فقط جرى الثاني على سياقه كذلك لا يعد منه الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قول الشاعر:

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا.[2]

لأن الموصول من الإسم الظاهر وهو يدل على الغيبة ومقتضى سياقه أن يعود الضمير عليه من الصلة بطريق الغيبة أيضا، ويعد منه الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ عبس(1-3)، وإن كان الخطاب ظاهر المقام لأنه خلاف ظاهر السياق، وهذا أخص من تفسير السكاكي لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق هذه الطرق عبر عنه غيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها، فكل التفات عندهم التفات عند السكاكي من غير عكس.[3]

---

[3] : إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر ،المصدر السابق، ص124.

[1] : أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، ج1، 2003م، ص472.

[2] : البيت من الرجز، وهو لرؤبة بن العجاج في شروح التلخيص،ج1، ص474.

[3] : إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر، مرجع سابق، ص126.

الفرع الرابع: أن يكون المخاطب بالكلام في الحالين واحد

كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فان ما قبل هذا الكلام وان لم يخاطب به الله من حيث الظاهر فهو بمنزلة المخاطب به لأن ذلك يجري من العبد مع الله لامع غيره بخلاف قول جرير:

تقي بِاللهِ لَيسَ لَهُ شَريكٌ وَمِن عِندِ الخَليفَةِ بِالنَجاحِ.

أَغِثني يا فَداكَ أَبي وَأُمّي بِسَيبٍ مِنكَ إِنَّكَ ذو اِرتِياحِ

فانه ليس من الالتفات في شيء لأن المخاطب في البيت الأول إمرأته والمخاطب في البيت الثاني هو الخليفة فهذا أخص من تفسير الجمهور، وهذا الشرط ضروري جدا لتحديد الإلنفات ودقته حتى لا يطلق الالتفات على أي تعبير لمجرد أنه انتقل بالكلام من ضمير إلى ضمير، وبدون هذا الشرط قد يحدث التباس أو خطأ أو عدم تحديد دقيق لهذا اللون البلاغي المهم.[1]

وعلى ذلك فإن للالتفات شروط مهمة وهي:

1- ان يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه فيكون المخاطب بالكلام في الحالين واحد.
2- أن يكون الالتفات تعبيرا عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بآخر منها وهذان الشرطان لازمان للالتفات الذي قصره المتأخرون على الصور الست.
3- أن يكون المخاطب بالكلام في الحالين واحد.[2]

أما شرط كون الالتفات في جملتين فليس بلازم حيث جاءت التفاتات كثيرة بدون هذا الشرط، وأما الالتفات في اصطلاح البلاغيين فينقسم إلى مذهبين:

أولا: رأي السكاكي هو: الإنتقال من الضمائر الثلاثة التكلم والخطاب الغيبة مطلقا بنقل كل منهما إلى الآخر.

[1] : إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر، المرجع السابق، ص127.

[2] : المرجع نفسه، ص138.

ثانيا: رأي الجمهور وهو: أن الإلتفات هو التعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، وهذا أخص من تفسير السكاكي لأنه أراد بالنقل أن يعبر عنه بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها. فكل إلتفات عند الجمهور إلتفات عند السكاكي من غير عكس.[1]

المطلب الثاني: فوائد الإلتفات

يقرر أهل اللغة أن لأسلوب (الالتفات) فوائد، وذلك أن العرب كما قال حازم القرطاجني "يسأمون الإستمرار على ضمير متكلم، أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضاً يغاير المتكلم بضميره، فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافاً، فيجعل نفسه مخاطباً، وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض."

الفرع الأول: الفوائد العامة للالتفات

فمن الفوائد العامة للإلتفات كما ذكر الزركشي في "برهانه" التفنن والإنتقال من أسلوب إلى آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام"، ونقل عن البيانيين قولهم: "إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال، حَسُنَ تغيير الطريقة"، كما يرى **الزمخشري** أن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب أي الالتفات إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه.[2]

لكن **ابن الأثير الجزري** يقول : « وليس الأمر كما ذكره - أي الزمخشري- لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإسغاء إليه، فإن ذلك دليل على أن السامع يملّ من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح الكلام لا وصف له، لأنه لم كان حسنا لما ملّ ولو سلمنا إلى الزمخشري ما ذهب إليه لكان إنما يوجب ذلك في الكلام المطول، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك، لأنه قد ورد الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن

[1] : إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر، المرجع السابق، ص129.

[2] : الزمخشري،ج1، المصدر السابق، ص64.

الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ويكون مجموع الجانبين يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك.[1]

ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب إنما يستعمل قصدا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه، لا قصدا لاستعمال الأحسن .

وعلى هذا فإذا وجدنا كلاما قد استعمل في جميعه الإيجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الإطناب ولم ينتقل عنه، وكان كلا الطرفين واقعا في موقعه قلنا:هذا ليل بحسن إذا لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب،وهذا قول فيه ما فيه.

وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة؟.[2]

والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب، لا يكون إلا لفائدة اقتضتها، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها، ليقاس عليها.

ثم بين رأيه في هذه المسألة اذ قال: فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه -وهو ضد الأول- قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه.[3]

ووضح ذلك في مجموعة من الأمثلة إذ قال:

---

[1] : عبارة الزمخشري في الكشاف2 ص4561 « فإن قلت: أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى(من تبعك) ؟: قلت بلى، ولكن التقدير : فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك، ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم، ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات».

[2] : ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الحلبي، ج2، مصر،1939م، ص136.

[3] : المرجع نفسه، ص137.

فأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، فكقوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾.

هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب، وبما يختص الكلام من الفوائد قوله :﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ بعد قوله :﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ ، فإنه إنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن الحمد دون العبادة، ألا تراك تحمد نظيرك، ولا تعبده؟، فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر، فقال :﴿ الحمد لله﴾ ، ولم يقل" :الحمد لك"، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : ﴿إياك نعبد﴾ فخاطب بالعبادة إصراحا بها، وتقربا منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدود منها.

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة، فقال:﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال" :غير المغضوب عليهم "عطفا على الأول؛ لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا.

فانظر إلى هذا الموضع، وتناسب هذه المعاني الشريفة التي لا تكاد تطؤها، الأفهام تدركها مع قربها[1].

وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب، لتعظيم شأن المخاطب، ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة، لتلك العلة بعينها، وهي تعظيم شأن المخاطب أيضا؛ لأن مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه.

فانبغى أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة، والبلاغة عالما بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها.

[1] : ابن الأثير ، المرجع السابق، ص138.

الفرع الثاني: الفوائد الخاصة للالتفات

الفوائد الخاصة للالتفات كثيرة، وسنذكر منها ما ذكره الزركشي وغيره.:

أولا: قصد تعظيم شأن المخاطب: كما في قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه بقوله:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وجد من نفسه التحرك للإقبال عليه سبحانه ، فإذا انتقل إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الدال على ربوبيته لجميعهم قوى تحركه، فإذا فال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم جليلها وحقيرها تزايد التحرك عنده، فإذا وصل إلى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهو خاتمة الصافات الدالة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء فيتأهب قربة، ويتقن الإقبال عليه بتخصصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات.[1]

ثانيا: إنتقال خطاب الغائب الى الحاضر: كما في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ينسب إلى التعظيم حال المخاطبة والمواجهة على ما هو أعلى رتبة عن طريق التأدب.

وعلى نحو ذلك جاء آخر سورة فقال:﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ مصرحا بذكر المنعم ولإسناد الأنعام إليه لفظا ولم يقال (صراط المنعم عليهم) فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه الغضب في النسبة إليه لفظا وجاء باللفظ متحرفا عن ذكر الغاضب فلم يقل (غير المغضوب غضبت عليهم) تفاديا عن نسبة الغضب في اللفظ حال المواجهة.[2]

ثالثا: التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه: كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يس(22)، أصل الكلام:(مالكم لا تعبدون الذي فطركم) ولكنه ابرز الكلام في معرض المناصة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويريهم أنه لا يريد لهم إلاما يريد لنفسه ثم انقضى غرضه لذلك، قال: ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ليدل على ما كان من أصل الكلام ومقتضيا له، ثم ساق هذا المساق إلى أن قال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ يس (25).

[1] : يحيى بن عبدربه بن حسن الزهراني، من أسرار الالتفات في القرآن الكريم، مجموعة محاضرات بكلية التربية بقسم المواد العامة، جامعة جدة، ص10.

[2] : المرجع نفسه، ص11.

رابعا: أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب: كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَة مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الدخان(4-6).

أصل الكلام : (إنا كنا مرسلين رحمة منا) ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر للإنذار بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين للقدرة عليهم او لتخصيص النبي - صلى الله عليه وسلم- بذكر أو الإشارة إلى الكتاب إنما هو إليه دون غيره، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمر للمعنى المقصود من تتميم المعنى.[1]

خامسا: قصد المبالغة: كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَة﴾ يونس (22)، كأنه يذكر لغيرهم حالهم لتعجب منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح لها، إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد البغي في الأرض بغير الحق مما ينكر ويقبح.[2]

سادسا: قصد الدلالة على الإختصاص: كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَد مَّيِّت فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ فاطر(9)، فإنه لما كان سَوَق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دال على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عان لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه أدخل في الاختصاص ودل عليه (فسقنا) و(أحيانا).

سابعا: قصد الإهتمام: كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَان فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْها قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ. فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَات فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ فصلت (11-12)، فعدل عن الغيبة في (قضاهن) و (أوحى) إلى التكلم في (وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا) للاهتمام بالإخبار عان نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفاظ ، وذلك لأن طائفة اعتقدت في

[1] : يحيى بن عبدربه بن حسن الزهراني، مرجع سابق، ص11.

[2] :غالب بن محمد أبو القاسم حامضي، أسلوب الالتفات وأقسامه في القرآن الكريم، مجلد 1، ص10. الرابط: https://ketabonline.com/ar/books/92372/read?page=13&part=1#p-92372-13-2

النجوم أنها ليست في السماء الدنيا وأنها ليست حفظا لا رجوما فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك لكونه مهما من مهمات الاعتقاد ولتكذيب الفرقة المعتقدة بطلانه.[1]

ثامنا: قصد التوبيخ، كقوله نعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا. لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ مريم (88-89)، عدل عن الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أن قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا منكرا عليه ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور، فقال: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾، لأن توبخ الحاضر أبلغ في الإهانة له.[2]

إلى غير ذلك من الفوائد التى تظهر جلية لمن تدبر القرآن وأعمل فكره وذهنه.

[1] : يحيى بن عبدربه بن حسن الزهراني، من أسرار الالتفات في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص12.

[2] : غالب بن محمد أبو القاسم حامضي ، أسلوب الالتفات وأقسامه في القرآن الكريم، مرجع سابق ، ص12.

المبحث الثالث: أقسام الإلتفات

هناك تقسيمات عديدة للالتفات فقد قسمه ابن الأثير الى ثلاثة أقسام ، أما الزركشي فقد قسمه إلى ستة أقسام، وهو التقسيم الذي سنتطرق إليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: الإلتفات من التكلم إلى الخطاب ومن التكلم إلى الغيبة.

الفرع الأول: الالتفات من التكلم الى الخطاب

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس (22)،

وقال الشوكاني : ثم أبرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه فقال" وما لي لا أعبد الذي فطرني "أي أيُّ مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني ثم رجع إلى خطابهم لبيان أنه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه فقال : (وإليه ترجعون)ولم يقل وإليه أرجع وفيه مبالغة في التهديد.[1]

فيفهم من كلام الشوكاني أن في الآية التفاتاً من التكلم إلى الخطاب لأن الأصل في التعبير أن يكون" وإليه ارجع "وفائدة الالتفات هنا المبالغة في التهديد وقال الألوسي: قوله : "وإليه ترجعون "مبالغة في تهديدهم بتخويفهم بالرجوع إلى شديد العقاب مواجهة وصريحاً ولو قال" وإليه أرجع "كان فيه تهديد بطريق التعريض. وعد التعبير" بإليه ترجعون "بعد التعبير" بما لي لا أعبد "من باب الالتفات كمكان التعريض بالمخاطبين في" مالي لا أعبد".

وكقوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (يونس 104).

ففي الآية التفات في قوله "يتوفاكم" بصيغة الخطاب وذلك بعد صيغة التكلم في قوله "ولكن أعبد" وكان المقتضى الاستمرار ليكون المقطع (ولكن أعبد الله الذي يتوفاني) بدل قوله تعالى "يتوفاكم" فما الحكمة من هذا الالتفات؟

[1] : الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن الجوزي، القاهره، المجلد 1 ، ص 14.

قال الرازي[1]: "فإن قيل: ما الحكمة في ذكر المعبود الحق في هذا المقام بهذه الصيغة وهي قوله:" الذي يتوفاكم "قلنا: فيه وجوه:[2]

الأول: يحتمل أن يكون المراد أني أعبد الله الذي خلقكم أولاً ثم يتوفاكم ثانياً ثم يعيدكم ثالثاً وهذه المراتب الثلاثة قد قررناها في القرآن مراراً وأطواراً، فههنا اكتفى بذكر التوفي منها لكونه منبهاً على البواقي."

الثاني: أن الموت أشد الأشياء مهابة فخص هذا الوصف بالذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع.

الثالث: أنهم لما استعجلوا نزول العذاب قال تعالى: {فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا} (يونس 102 - 103).

فهذه الآية تدل على أنه تعالى يهلك أولئك الكفار ويبقي المؤمنين ويقوي دولتهم، فلما كان قريب العهد بذكر هذا الكلام لا جرم قال ههنا "ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم" وهو إشارة إلى ما قرره وبينه في تلك الآية كأنه يقول أعبد ذلك الذي وعدني بإهلاكهم وإبقائي.[3]

الفرع الثاني: الالتفات من التكلم إلى الغيبة

كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف (158).

---

[1] : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي، الطبرستاني، هو **إمام مفسر فقيه أصولي**، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك.

[2] : الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، تفسير سورة يونس - الآية 104.الرابط: https://quran-tafsir.net/alrazy/sura10-aya104.html#p2

[3] : المرجع نفسه، ص138.

قال ابن عاشور: وفي قوله: "ورسوله النبي الأمي" التفات من التكلم إلى الغيبة لقصد إعلان تحقق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد صلى الله عليه وسلم.

وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، (فاطر 29 - 30).

قال ابن عاشور: ووقع الالتفات من التكلم في قوله: "مما رزقناهم" إلى الغيبة . في قوله "ليوفيهم" .رجوعاً إلى سياق الغيبة من قوله "يتلون كتاب الله" أي ليوفي الله الذين يتلون كتابه. [1]

وكقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة، الآية 23) .

فالالتفات في هذه الآية في تغير الأسلوب من صيغة التكلم في قوله "مما نزلنا" وكذا في "عبدنا" إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: "من دون الله" فالآية بدأت بضمير المتكلم ليوثق نسبة هذا المنزل ويوضح مصدره الحقيقي رغم أنف المعارضين ثم تأتي كلمة "عبدنا" لتبين صلة النبي صلى الله عليه وسلم بالله وتؤكد عبوديته وخضوعه التام لربه ثم تلتفت الآية إلى أسلوب الغيبة في لفظ الجلالة - الله - لتزيد الأمر شرفاً وتعلي قدره وتوضح أمراً دقيقاً وهو أن صاحب هذا الضمير السابق هو الله ذو الألوهية والعبودية على الخلق أجمعين، وقد ذكر أبو السعود في تفسيره ثلاث فوائد للالتفات في هذه الآية، الأولى: لإدخال الروعة وتربية المهابة، والثانية: الإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث أثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة مالا أحقر منه. والثالثة: تربية المهابة وترسيخ ذلك المعنى فإن ما يقوم بهذا الأمر في ذلك

[1] : الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص3487.

المقام الحظير حقه أن يستعان به في كل مرام، وفي أمرهم على الوجهين بأن يستظهروا في معارضة القرآن الذي أخرس كل منطق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف.[1]

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى التكلم ومن الخطاب إلى الغيبة

الفرع الأول: الالتفات من الخطاب إلى التكلم

كقوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} (هود، 9)

لالتفات في قوله تعالى" :إن ربي "بصيغة التعلم وذلك بعد مخاطبتهم بقوله" :واستغفروا ربكم ثم توبوا "وكان حق الظاهر أن يقول" :إن ربكم "تمشياً مع ما سبقه، حتى يكون على صيغة واحدة وهي صيغة الخطاب، ولكنه التفت من الخطاب إلى التكلم، ولما كان الاستفسار والتوبة تخصهم وحدهم أضاف كلمة رب إلى ضمير خطابهم ليهز نفوسهم ويقربهم من الله زلفى، وعندما أراد أن يخبرهم - أي شعيب - بما يعهده في ربه أسند هذه الكلمة إلى نفسه فقال" :إن ربي "لتكون دليلاً على اليقين بها في نفسه المؤمنة وشاهداً على صدق كلامه، فهو عليه السلام التفت عن الخطاب إلى التكلم ليوضح ما في نفسه ويفصح عما بها.[2]

وكقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} (يونس 21)

ففي هذه الآية التفات إلى التكلم في قوله: "رسلنا" وذلك بعد أسلوب الخطاب في قوله: "قل الله أسرع مكراً" فالله عز وجل خاطب نبيه بقوله: "قل الله" أي قل لهم يا محمد وعظهم بأن الله أسرع مكراً أي منكم فجعل مكر الله بهم أسرع من مكرهم بآيات الله.[3]

قال الألوسي: [4]"إن رسلنا" التفاتاً إذ لو أجري على قوله سبحانه: "قل الله" لقيل إن رسله فلا إشكال فيه من حيث أنه لا وجه لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم إن رسلنا إذ الضمير لله تعالى لا له عليه الصلاة والسلام.[5]

[1] : أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم الى مرايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،

[2] : د غالب حامضي، أسلوب الالتفات وأقسامه في القرآن الكريم،المجلد 1، ، جامع الكتب الإسلامية ، ص 18.

[1] : المرجع نفسه، ص19.

الفرع الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة: قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ يونس (22)، والأصل : (بكم)، ونكتة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم، التعجب من كفرهم وفعلهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة.[1]

وقيل : لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ ﴾، فلو كان (وجرين بكم) للزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية، عدولا من الخطاب العام إلى الخاص.

قلت : ورأيت عن بعض السلف في توجيهه عكس ذلك، وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام.

فأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، أنه قال في قوله : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ، قال : ذكر الحديث عنهم ثم حدث عن غيرهم، ولم يقل : (وجرين بكم)، لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم، وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق هذه عبارته، فلله در السلف ما كان أوقفهم على المعاني اللطيفة التي يدأب المتأخرون فيها زمانا طويلا، ويفنون فيها أعمارهم، ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى[2].

ومما ذكر في توجيهه أيضا أنهم وقت الركوب حضروا، إلا أنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين، ثم لما جرت الرياح بما تشتهي السفن، وأمنوا الهلاك لم يبق

---

[4] : هو: شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني مفسر، محدث، أديب، من المجددين، توفي سنة 1270 هـ (الأعلام 176/7)،

[5] : الالوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج16، 1994م، ص226.

[1]: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، دط، المملكة العربية السعودية، ج2، 1999م، ص155.

[2] : المرجع نفسه، ص157.

حضورهم كما كان، على عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب قلبه عن ربه، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة ، وهذه إشارة صوفية.[1]

ومن أمثلته أيضا: ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ (الروم 39) ،﴿ وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ (الحجرات 7) ، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم ، والأصل : (عليكم) ، ثم قال : ﴿وأنتم فيها خالدون ﴾ (الزخرف 70 ، 71) ، فكرر الالتفات[2].

المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم ومن الغيبة إلى الخطاب

الفرع الأول: الالتفات من الغيبة إلى التكلم

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (طه،53) . [3]

ففي هذه الآية التفات إلى التكلم في قوله "فأخرجنا" وذلك بعد أسلوب الغيبة في قوله: "وأنزل" وفائدة الالتفات التنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة. [4]

وقال الشنقيطي[5]: وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم ... يدل على تعظيم شأنه إنبات النبات لأنه لو لم ينزل الماء ولم ينبت شيئاً لهلك الناس جوعاً وعطشاً فهو يدل على عظمته جل وعلا وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا.

وكقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل، 5).

[1] : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي،المرجع السابق، ص157.

[2] : المرجع نفسه، ص158.

[3] : سورة طه، (53).

[4] : أبو السعود العمادي ، ج6، المرجع السابق، ص21.

[5] : محمد بن علي الشنقيطي، أشتهر بموسوعته في تفسير القرآن الكريم، ومعرفة الفقه وأصوله، وساهم في تأسيس رابطة العالم الإسلامي وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

فالآية فيها التفات من الغيبة إلى التكلم، والفائدة من هذا الالتفات تربية المهابة، وإلقاء الرهبة في القلوب، والمبالغة في التخويف والترهيب فإن تخويف الحاضر مواجهة أبلغ من تخويف الغائب، سيما بعد وصفه بالوحدة والألوهية المتضمنة للعظمة والقدرة التامة على الانتقام.[1]

وقال البيضاوي: "نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب، وتصريحاً بالمقصود فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير.[2]

وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ} (الأنعام 99) .

والالتفات في هذه الآية في قوله تعالى "فأخرجنا" بضمير المتكلم، وذلك بعد صيغة الغيبة الموجودة في أول الآية في قوله تعالى: "وهو الذي أنزل من السماء ماءً" وكان مقتضى الظاهر أن يقول "أخرج" باستمرار صيغة الغيبة.

والفائدة من هذا الالتفات كما قال أبو السعود: "التفت إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أي فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته" نبات كل شيء "من الأشياء التي من شأنها النمو عن أصناف النجم والشجر وأنواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافاً متفاوتاً في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى:" ويسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل.[3]

وذكر الألوسي الفائدة التي ذكرها أبو السعود ثم قال: "وذكر بعضهم نكتة خاصة لهذا الالتفات غير ما ذكر وهي أنه سبحانه لما ذكر فيما مضى ما ينبهك على أنه الخالق اقتضى ذلك

---

[1] : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق، ج5، ص119.

[2] : هو: قاضي القضاة ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن محمد أبو الخير، كان إماماً علامة، عارفاً بالفقه والتفسير، توفي سنة 685 هـ (السير للذهبي 2/ 2446) .

[3] : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق، ج3، ص166.

التوجَّه إليه حتى يخاطب واختيار ضمير العظمة دون ضمير المتكلم وحده لإظهار كمال العناية أي فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته" نبات كل شيء "أي كل صنف من أصناف النبات المختلفة". [1] قلت: وهذه النكتة الخاصة التي ذكرها الألوسي ذكرها من قبله أبو السعود، وتفهم من كلامه السابق.

الفرع الثاني: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب

جاء الالتفات من الغيبة إلى المخاطب في مواطن كثيرة في كتاب الله لغرض التهديد والتخويف، كقوله تعالى:(لتسألن عما كنتم تفترون) النحل (56)، فالتفت في قوله تعالى: (لتسألن) من الغيبة إلى الخطاب لكي يواجههم بالتوبيخ والتقريع، كذا التشديد على طلب الشيء والتخفيف من شدة الأمر، كقوله تعالى: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابا طَهُورًا إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جزاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ الإنسان(21-22)، ولم يقل (كان لهم) قد يكون الغرض منه تعظيم شأن المخاطب، وقد يستعمل ذات الغرض للضد، أي للانتقال من الخطاب الى الغيبة، ومن ذلك يفهم أن الغرض الموجب لاستعمال« الالتفات » لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه.

من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا. لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ مريم (88-89)،[2] وإنما قيل: لقد جئتم وهو خطاب للحاضر بعد قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة، وهي زيادة التسجيل على قائلي هذا القول بالجرأة على الله، والتعرض لسخطه، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكرا عليهم وموبخا لهم.[3]

ومن هذا النوع أيضا، أي من الالتفات بالرجوع أو العدول عن الغيبة إلى الخطاب قول القاضي الأرجاني:

---

[1] : الألوسي،ج6، المرجع السابق، ص238،

[2]: الإد بكسر الهمزة وتشديد الدال: الأمر الفظيع المنكر، وأده الأمر بتشديد الدال: أثقله وعظم عليه.

[3] : عبد العزيز عتيق، علم البديع، مرجع سابق، ص148.

وهل هي إلا مهجة يطلبونها؟ ... فإن أرضت الأحباب فهي لهم فدى

إذا رمتمو قتلي وأنتم أحبتي ... فماذا الذي أخشى إذا كنتمو عدى؟

فالبيت الثاني قد جاء وهو خطاب للحاضر بعد البيت الأول وهو خطاب للغائب. فالغرض البلاغي من وراء الالتفات بالعدول عن الاستمرار في الإخبار عن الغائب إلى مخاطبته هو تمثل أحبابه الغائبين في البيت الأول كأنهم حاضرون أمامه ليقرعهم ويلومهم على عدم معاملته بالمثل، وذلك بالمقابلة بين مشاعرهم نحوه :هو على أتم استعداد لأن يفديهم بمهجته إن أرضاهم ذلك، وهم يرومون قتله بالتمادي في هجرانه، والإعراض عنه كما لو كان عدوا لهم.[1]

ومما ينخرط في هذا السلك الالتفات بالرجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النفس، كقوله تعالى : ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين، فقضاهن سبع سماوات في يومين، وأوحى في كل سماء أمرها، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا، ذلك تقدير العزيز العليم[2].

فالآية مثال للالتفات بالعدول عن الغيبة إلى خطاب النفس، فإنه قال وزينا بعد قوله ثم استوي وقوله فقضاهن- وأوحى.

والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا، وأنها ليست حفظا ولا رجوما، فلما صار الكلام إلى هاهنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس لأنه مهمة من مهمات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه.

ومن الالتفات بالرجوع أو العدول عن مخاطبة النفس إلى مخاطبة الجماعة، قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ يس (22).[3]

وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم، لأنه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم لأن ذلك أدخل في إمحاض النصح، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، وقد وضع قوله وما لي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله «وما لكم لا

[1] : عبد العزيز عتيق، علم البديع، مرجع نفسه، ص149.

[2] : المرجع نفسه، ص150.

[3] : سورة يس(22)

تعبدون الذي فطركم » بدليل قوله وإليه ترجعون. ولولا أنه قصد ذلك لقال «الذي فطرني وإليه أرجع» .[1]

خلاصة الفصل:

خلال دراسة الالتفات خلال هذا الفصل توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- من حيث التعريف، فقد عرفه البلاغيون بأنه أحد الوسائل البلاغية البديعية التي تستخدم لإحداث تنويع وجذب إنتباه القارئ أو السامع .
- الغرض البلاغي من الالتفات هو إثارة الانتباه والتشويق ، كسر الرتابة في الأسلوب ، إظهار تعظيم او التقليل بحسب المقام، نقل العتاب أو الرحمة أو الإكرام بلون جديد ، إبراز المعنى بشكل أوضح و أقوى.
- للالتفات فوائد عامة وخاصة ، أما العامة فهي جذب الانتباه ، لأن الالتفات يغير نسق الكلام فيوقظ ذهن السامع ، التنويع بين الأساليب غائب مخاطب، متكلم)، يمنع الملل خاصة في النصوص الطويلة .
- أما الفوائد الخاصة تندرج في قصد التوبيخ, قصد الإهتمام, قصد الدلالة على الإختصاص ,قصد المبالغة.
- أما أقسام الألتفات فسنتطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثاني.

[1] : أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، المصدر السابق، ص 122.

الفصل الثاني: فواصل مختارة للالتفات في القرآن الكريم

- ✓ المبحث الأول: الالتفات في الغيبة
- ✓ المبحث الثاني: الالتفات في الخطاب
- ✓ المبحث الثالث: الالتفات في التكلم

تمهيد:

يعد القرآن الكريم معجزة وذروة الفصاحة تتجلى فيه أسمى صور البلاغة وأبدع أساليب الكلام ومن بين هذه الأساليب الالتفات الذي يضفي على النص القرآني جمالا وجاذبية وتأثيرا عميق في النفس.

فالالتفات في جوهره هو" التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم ,الخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق اخر منها اي صرف الكلام من أسلوب الى آخر" فهو انتقال رشيق ولطيف من ضمير إلى آخر أو من صيغة إلى أخرى، أو حتى من مخاطب إلى غائب أو متكلم أو العكس.

وهذا التحول الأسلوبي ليس مجرد تغير شكلي في بنية الكلام بل هو أداة فنية رفيعة المستوى تحمل في طياتها دلالات عميقة وأهداف بلاغية سامية.

يهدف هذا الفصل إلى بيان واستجلاء فواصل مختارة من القرآن الكريم تتجلى فيها صور الالتفات المختلفة، والكشف عن الأسرار البلاغية والوظائف الدلالية التي تحققها هذه الظاهرة الأسلوبية الفريدة، والمتتبع لهذه الفواصل وتحليلها يفتح له آفاقا جديدة لفهم أعمق لنعاني القرآن وإدراك مدى دقته، وإحكامه في صياغة المعاني وتوصيلها إلى المتلقي بأبلغ وجه وأتم بيان فهو رحلة استكشافية في أعماق النص الإلهي، إذ يكشف هذا عن جوانب عظمة الله وجماله وتزيد من تدبر كلامه.

المبحث الأول: الالتفات في الغيبة

يتميز القرآن الكريم ببلاغة فريدة لا تضاهى تتجلى في تنوع أساليبه وقدرته على جذب إنتباه السامع او المتلقي و إثارة تفكيره فنركز تحديدا في هذا المبحث على الحالات التي يبدأ فيها السياق بالحديث عن الغائب ثم ينتقل فجأة إلى ضمير آخر سواء كان متكلما أو مخاطبا.

المطلب الأول: الغيبة الى التكلم

الفرع الأول: ﴿سُبْحَانَ ٱلذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوَلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، الإسراء الاية(1).[1]

وفي تغيير الأسلوب من الغيبة التي في اسم الموصول وضميريه إلى التكلم في قوله باركنا . . . ولنريه من آياتنا سلوك لطريقة الالتفات المتبعة كثيرا في كلام البلغاء ، وقد مضى الكلام على ذلك في قوله تعالى إياك نعبد في سورة الفاتحة ، والالتفات هنا امتاز بالطائف : منها أنه لما استحضرت الذات العلية بجملة التسبيح ، وجملة الموصولية صار مقام الغيبة مقام مشاهدة فناسب أن يغير الإضمار إلى ضمائر المشاهدة ، وهو مقام التكلم[2].

وقرأ الجمهور(لنريه) بالنون، وهو التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، وقراءة الحسن " ليريه " بالياء فيكون الالتفات في آياتنا، وهذه رؤيا عين، والآيات التي أريها هي العجائب التي أخبر بها الناس، وإسراؤه من مكة وعروجه إلى السماء، ووصفه الأنبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح، **وقال ابن عطية :** ويحتمل أن يريد ليري محمدا للناس آية ، أي : يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا رؤية القلب. [3]

---

[1] : سورة الإسراء، (1).

[2] : الطاهر بن عاشور، ج16، المرجع السابق، ص21.

[3] : ابي حيان الاندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الفكر بيروت، 2000م ،ج6، ص6.

لنريه غاية للإسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر، ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول إلى المقصد، ومشاهدة بيت المقدس، وتمثل الأنبياء له، ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم الصلاة والسلام. والالتفات إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات.[1]

وقرأ الحسن" :ليريه" بالياء، ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم، فقيل: أسرى به ثم باركنا ليريه، على قراءة الحسن" :ثم من آياتنا"، "ثم إنه هو"، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة، إنه هو السميع :لأقوال محمد، البصير :بأفعاله، العالم بتهذبها وخلوصها، فيكرمه ويقربه على حسب ذلك.[2]

وصرف الكلام من الغيبة التي في قوله سبحانه :سبحان الذي أسرى بعبده إلى صيغة المتكلم المعظم في: " باركنا ونريه آياتنا"، لتعظيم البركات والآيات لأنها كما تدل على تعظيم مدلول الضمير تدل على عظم ما أضيف إليه وصدر عنه كما قيل: إنما يفعل العظيم العظيم، وقد ذكروا لهذا التلوين نكتة خاصة وهي أن **قوله تعالى :** "الذي أسرى بعبده ليلا"، يدل على مسيره عليه الصلاة والسلام من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فهو بالغيبة أنسب، **وقوله تعالى:** "باركنا حوله" دل على إنزال البركات فيناسب تعظيم المنزل، والتعبير بضمير العظمة متكفل بذلك، وقوله سبحانه :لنريه على معنى بعد الاتصال وعز الحضور، فيناسب التكلم معه، وأما الغيبة فلكونه صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ليس من عالم الشهادة، ولذا قيل: إن فيه إعادة إلى مقام السر والغيبوبة من هذا العالم، والغيبة بذلك أليق، وقوله تعالى :من آياتنا عود إلى التعظيم كما سبقت الإشارة إليه، وأما الغيبة في قوله عز وجل :إنه هو السميع البصير على تقدير كون الضمير له تعالى كما هو الأظهر وعليه الأكثر فليطابق قوله تعالى :بعبده ويرشح ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه وينطبق عليه

[1] : ابي السعود العمادي، ج5، المرجع السابق، ص155.

[2]: الزمخشري، ج3،المرجع السابق، ص493.

التعليل أتم انطباق، إذ المعنى قربه وخصه بهذه الكرامة لأنه سبحانه مطلع على أحواله عالم باستحقاقه لهذا المقام، قال الطيبي :إنه هو السميع لأقوال ذلك العبد، البصير بأفعاله بكونها مهذبة خالصة عن شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفا، مستأهلة للقرب والزلفى، وأما على تقدير كون الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم كما نقله أبو البقاء عن بعضهم وقال: أي السميع لكلامنا البصير لذاتنا.[1]

تحدثنا عن الالتفات كثيرا في هذا الكتاب"اعراب القران وبيانه" وتقدمت له شواهد متعددة وفي هذه الآية، آية الاسراء، تعاقب الالتفات كثيرا على قصر متنه وتقارب طرفيه، فقد قال أولا «سبحان الذي أسرى» بلفظ الواحد الغائب ثم قال: « الذي باركنا » بلفظ الجمع المتكلم ثم قال « إنه هو السميع البصير » بلفظ الواحد الغائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته إنه هو السميع البصير » وهذا جميعه محمول على أسرى فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صيغة الى صيغة كان ذلك اتساعا في الكلام، وتفننا فيه، وتنويعا لأساليبه والفائدة منه فضلا عن تطرية نشاط الذهن، واستحضاره، واسترعائه لعرض الحقائق المملوءة بالعظات والعبر، أنه لما بدأ الكلام بسبحانه ردفه بقوله: الذي أسرى إذ لا يجوز أن يقال الذي أسرينا فلما جاء بلفظ الواحد، والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الاول بالثاني فقال : « باركنا » ثم قال: « لنريه من آياتنا » فجاء بذلك على نسق «باركنا » ثم قال: « إنه هو » عطفا على أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، بصرف النظر عن التفاوت بين السمعين والبصريين وتلك حال متوسطة فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه الى خطاب غائب وهذه مرام بعيدة المدى، جليلة الغرض لا يسبر غورها ولا يكتنه فحواها إلا المطبوع[2].

[1] : الألوسي، ج15، المرجع السابق ، ص13-14.

[2] : محي الدين ابن أحمد مصطفى درويش ، إعراب القرآن وبيانه،دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط4، ، 1418هـ، ،ج5 ، ص395.

الفرع الثاني: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾، سورة طه (53).[1]

العدول عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم في قوله :فأخرجنا التفات. وحسنه هنا أنه بعد أن حج المشركين بحجة انفراده بخلق الأرض وتسخير السماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه ارتقى إلى صيغة المتكلم المطاع فإن الذي خلق الأرض وسخر السماء حقيق بأن تطيعه القوى والعناصر، فهو يخرج النبات من الأرض بسبب ماء السماء، فكان تسخير النبات أثرا لتسخير أصل تكوينه من ماء السماء وتراب الأرض.

ولملاحظة هذه النكتة تكرر في القرآن مثل هذا الالتفات عند ذكر الإنبات كما في قوله تعالى :وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء (الأنعام: 99)، وقوله : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها (فاطر: 35)، وقوله :أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة (النمل: 60) ومنها قوله في سورة (الزخرف 11): والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا. وقد نبه إلى ذلك في» الكشاف «، ولله دره. ونظائره كثيرة في القرآن[2].

"فأخرجنا :" انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع، لما ذكرت من الافتنان، والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لا يمتنع شيء على إرادته، ومثله **قوله تعالى :** وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء (الانعام : 99) ، ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها (فاطر: 27)، أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة (النمل : 60).[3]

قال صاحب «الكشاف» انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للإيذان بأنه سبحانه وتعالى مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره ومثله قوله تعالى: وهو الذي أنزل من

[1] : سورة طه، (53).

[2] : الطاهر بن عاشور محمد، ج16، المرجع السابق، ص237-238..

[3] : الزمخشري، ج4، المرجع السابق، ص86-87.

السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء (الأنعام: 99) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها (فاطر:29) أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة (النمل: 60) واعلم أن **قوله:** فأخرجنا إما أن يكون من كلام موسى عليه السلام أو من كلام الله تعالى والأول باطل لأن قوله بعد ذلك: كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم لا يليق بموسى عليه السلام وأيضا **فقوله:** فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى لا يليق بموسى لأن أكثر ما في قدرة موسى عليه السلام صرف المياه إلى سقي الأراضي وأما إخراج النبات على اختلاف ألوانها وطبائعها فليس من موسى عليه السلام فثبت أن هذا كلام الله ولا يجوز أن يقال كلام الله ابتداؤه من **قوله:** فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى لأن الفاء يتعلق بما قبله فلا يجوز جعل هذا كلام الله تعالى وجعل ما قبله كلام موسى عليه السلام فلم يبق إلا أن يقال: إن كلام موسى عليه السلام تم عند **قوله:** لا يضل ربي ولا ينسى ثم ابتدئ كلام الله تعالى من **قوله:** الذي جعل لكم الأرض مهدا ويكون التقدير هو الذي جعل لكم الأرض مهدا فيكون الذي خبر مبتدأ محذوف ويكون الانتقال من الغيبة إلى الخطاب التفاتا[1].

الالتفات من الغيبة إلى لفظ التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل والفائدة منه التنبيه على ظهور ما في الأرض من الدلالة على كمال القدرة الإلهية والحكمة التي لا تطيش وانقياد المخلوقات جميعا لمشيئته وقيل لا التفات في الكلام لأنه يشترط في الالتفات أن يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون: علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم **قوله:** الذي جعل لكم الأرض مهادا إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فإما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك: أمرنا وعمرنا وإنما يريدون الملك وليس هذا بالتفات وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند **قوله:** ولا ينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس التفاتا أيضا وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب،

[1] : محي الدين درويش ، ج22 ،المرجع السابق ، ص61.

وقد يبدو هذا الرد وجيها لأول وهلة ولكن نذكر أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال: الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى فمرجع الضميرين واحد وهذا الوجه دقيق وهو أقرب الوجوه إلى الالتفات .[1]

المطلب الثاني: الالتفات من الغيبة الى الخطاب

الفرع الأول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة الآية (5)[2]

والانتقال من أسلوب الحديث بطريق الغائب المبتدأ من قوله :الحمد لله إلى قوله : ملك يوم الدين، إلى أسلوب طريق الخطاب ابتداء من قوله إياك نعبد إلى آخر السورة، فن بديع من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب العربي والبلاغة التفاتا .

ولأهل البلاغة عناية بالالتفات لأن فيه تجديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه تحاشيا من تكرر الأسلوب الواحد عدة مرار فيحصل بتجديد الأسلوب تجديد نشاط السامع كي لا يمل من إعادة أسلوب بعينه.

قال السكاكي في «المفتاح » بعد أن ذكر أن العرب يستكثرون من الالتفات: «أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الأرواح فيخالفون بين أسلوب وأسلوب » .

فهذه فائدة مطردة في الالتفات.

ثم إن البلغاء لا يقتصرون عليها غالبا بل يراعون للالتفات لطائف ومناسبات ولم يزل أهل النقد والأدب يستخرجون ذلك من مغاصه. [3]

وما هنا التفات بديع فإن الحامد لما حمد الله تعالى ووصفه بعظيم الصفات بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية فخاطب ربه بالإقبال.

وقوله تعالى: والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي (العنكبوت:23)، لاعتبار تشنيع كفر المتحدث عنهم بأنهم كفروا بآيات صاحب ذلك الاسم الجليل، وبعد تقرر

[1] : محي الدين درويش، ج6، المرجع السابق، ص202.

[2] : سورة الفاتحة (5).

[3] : الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص179.

ذلك انتقل إلى أسلوب ضمير المتكلم إذ هو الأصل في التعبير عن الأشياء المضافة إلى ذات المتكلم .ومما يزيد الالتفات وقعا في الآية أنه تخلص من الثناء إلى الدعاء ولا شك أن الدعاء يقتضي الخطاب فكان قوله :إياك نعبد تخلصا يجيء بعده: اهدنا الصراط.

وأبو الفتح ابن جني يسمي الالتفات» شجاعة العربية «كأنه عنى أنه دليل على حدة ذهن البليغ وتمكنه من تصريف أساليب كلامه كيف شاء كما يتصرف الشجاع في مجال الوغى بالكر والفر[1].

"إياك" التفات لأنه انتقال من الغيبة، إذ لو جرى على نسق واحد لكان إياه. والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب. والغيبة تارة تكون بالظاهر، وتارة بالمضمر، وشرطه أن يكون المدلول واحدا. ألا ترى أن المخاطب بإياك هو الله تعالى؟ وقالوا فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام، والاقتدار على التصرف فيه. وقد ذكر بعضهم مزيدا على هذا، وهو إظهار فائدة تخص كل موضع.[2]

وقوله :﴿إِيَّاكَ﴾ بعد قوله :﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة:4) رجوع من الغيبة إلى الخطاب، والعرب تفعل ذلك كثيرًا، وهو نوع من البلاغة والتصرف في الكلام.[3]

فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: (حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ) . وقوله تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ)، وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد. ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات،

[1] : الطاهر بن عاشور، ج1، ص180.

[2] : ابي حيان الاندلسي،ج1، المرجع السابق، ص42.

[3] : الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، ط1، 1430هـ ، ج1، ص514.

فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أنّ العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به.[1]

الفرع الثاني: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (سورة مريم الآية 90)[2]

والخطاب في لقد جئتم للذين قالوا اتخذ الرحمان ولدا، فهو التفات لقصد إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد.[3]

لقد جئتم أي قل لهم يا محمد لقد جئتم أو يكون التفاتا خرج من الغيبة إلى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا.[4]

وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا.[5]

وقوله تعالى:" لقد جئتم شيئا إدا"، رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة،[6]

الالتفات في قوله« لقد جئتم » التفت من الغيبة إلى الخطاب لمشافهتهم بالأمر المنكر الذي اجترحوه، والبدع العجيب الذي ارتكبوه[7].

فهو انتقال الضميرمن الغيبة الى التكلم او الخطاب وقد اخترت فاصلتين لكل مطلب .

---

[1] : الزمخشري، ج1، المرجع السابق، ص14.

[2] : سورة مريم،(90).

[3] : الطاهر بن عاشور، ج16، المرجع السابق ص170.

[4] : ابي حيان الاندلسي محمد بن يوسف،ج7، المرجع السابق، ص300.

[5] : الزمخشري، ج3، المرجع السابق، ص45.

[6] : الألوسي، ج8,المرجع السابق ص454.

[7] : محي الدين درويش،ج6، المرجع السابق، ص158

المبحث الثاني: الالتفات في الخطاب

التفات من الأساليب البلاغية الفريدة فهي تضفي على النص القرآني حيوية وتأثير وذلك من خلال تغيير مسار الضمائر بشكل لافت للإنتباه وبتناول هذا المبحث " الخطاب" فإننا نركز بشكل خاص على كيفية توجيه الكلام وتغير المخاطب ضمن هذه التحولات الضميرية وما يترتب عن ذلك من دلالات بلاغية وأهداف تواصلية.

المطلب الأول: الخطاب إلى التكلم

الفرع الأول:﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾(النبأ28- 30)[1]

يقول: «وقوله: ﴿فَذُوقُوا﴾مسبَّب عن كفرهم بالحساب، وتكذيبهم بالآيات، وهي آية في غاية الشدة، وناهيك بـ﴿لن نزيدكم﴾ وبدلالته على أنّ تَرْك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة، وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدًا على أن الغضب قد تبالَغ، وعن النبي -صلى الله عليه وسلم-: هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار».[2]

الزمخشري هنا لا يحدّد لون الالتفات؛ لأن الجوّ الانفعالي المثير الذي يلوّن الآية لم يسمح له بهذا التحليل المنطقي، لكننا نلمح هذا الالتفات من الخطاب: ﴿فَذُوقُوا﴾ إلى التكلّم: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ﴾ بكلّ يُسْرٍ وَقُرْبٍ. ومما يلفت الانتباه أنّ الزمخشري يقف عند بعض الدلالات الأخرى التي يحملها السياق أو يقف على التفاعل بين هذه الدلالات، فدلالة (لن) والالتفات تضفي على معنى الغضب والشدة التي تشير إليها جملة: {فَذُوقُوا}، بُعدًا أبعد وأعمق.

الفرع الثاني: ﴿قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (يونس: 21).[3]

الالتفات من الخطاب إلى التكلم, أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب, فالضمير في (قل) للمخاطب, وفي (رسلنا) للمتكلم.

---

[1] : النبأ (28-29-30).

[2] : الزمخشري، ج4،المرجع السابق، ص210.

[3] : يونس (21).

المطلب الثاني: الخطاب إلى الغائب

الفرع الأول ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (النور 12).

والعدول عن ضمير الخطاب في إسناد فعل الظن إلى المؤمنين التفات، فمقتضى الظاهر أن يقال :ظننتم بأنفسكم خيرا، فعدل عن الخطاب للاهتمام بالتوبيخ فإن الالتفات ضرب من الاهتمام بالخبر، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أن الاشتراك في الإيمان يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه وأخته في الدين ولا مؤمنة على أخيها وأختها في الدين قول عائب ولا طاعن. وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في مؤمن أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك ثم ينظر في قرائن الأحوال وصلاحية المقام فإذا نسب سوء إلى من عرف بالخير ظن أن ذلك إفك وبهتان حتى يتضح البرهان.[1]

ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر؟ قلت: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدّق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن. وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبنى الأمر فيها على الظنّ لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير :هذا إفك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته. [2]

﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ تَلْوِينٌ لِلْخِطابِ وصَرْفٌ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وذَوِيهِ إلى الخائِضِينَ بِطَرِيقِ الِالتِفاتِ لِتَشْدِيدِ ما في "لَوْلا" التَّحْضِيضِيَّةِ مِنَ التَّوْبِيخِ، ثُمَّ العُدُولِ عَنْهُ إلى الغَيْبَةِ .[3]

وفي الكلام عدول عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر وسياق الحديث أن يقول" لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم «وانما اقتضت البلاغة هذا الالتفات والعدول عن الضمير إلى الظاهر للمبالغة في التوبيخ وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن

[1] : الطاهر بن عاشور محمد، ج18، المرجع السابق، ص174-175.

[2] : الزمخشري، ج3، المرجع السابق، ص218.

[3] : ابي السعود محمد بن محمد العمادي، ج6، المرجع السابق، ص161.

الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وكان جديرا بالآخرين الاحتذاء به[1].

الفرع الثاني: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ (الأنبياء 93).[2]

﴿وتقطعوا﴾ وضمائر الغيبة عائدة إلى مفهوم من المقام وهم الذين من الشأن التحدث عنهم في القرآن المكي بمثل هذه المذام ، وهم المشركون . ومثل هذه الضمائر المراد منها المشركون كثير في القرآن ، ويجوز أن تكون الضمائر عائدة إلى أمم الرسل . فعلى الوجه الأول الذي قدمناه في ضمائر الخطاب في قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة يكون الكلام انتقالا من الحكاية عن الرسل إلى الحكاية عن حال أممهم في حياتهم أو الذين جاءوا بعدهم مثل اليهود والنصارى إذ نقضوا وصايا أنبيائهم . وعلى الوجه الثاني تكون ضمائر الغيبة التفاتا.[3]

ولما كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات عدل عن الخطاب إلى لفظ الغيبة كأن هذا الفعل ما صدر من المخاطب لأن في الإخبار عنهم بذلك نعيا عليهم ما أفسدوه، وكأنه يخبر غيرهم ما صدر من قبيح فعلهم ويقول ألا ترى إلى ما ارتكب هؤلاء في دين الله جعلوا أمر دينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب، تمثيلا لاختلافهم ثم توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة إلى جزائه.[4]

وَقَوْلُهُ تَعالى :﴿وَتَقَطَّعُوا أمْرَهم بَيْنَهُمْ﴾ التفات إلى الغيبة لينعى عليهم ما أفسدوه من التفرق في الدين وجعل أمره قطعا موزعة وينهى قبائح أفعالهم إلى الآخرين.[5]

---

[1] : محي الدين درويش، ج6، المرجع السابق،ص ص578-579.

[2] : سورة الانبياء (93).

[3] : الطاهر بن عاشور محمد، ج18، المرجع السابق، ص142.

[4] : ابي حيان الاندلسي، ج7،المرجع السابق،ص ص464-465.

[5] : ابي السعود محمد بن محمد العمادي، ج6، المرجع السابق،ص84.

والأصل: وتقطعتم، إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله. والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا، كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه، فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب، تمثيلا لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى. ثم توعدهم بأنّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو محاسبهم ومجازيهم.[1]

أما قوله تعالى) : وتقطعوا أمرهم بينهم (والأصل " وتقطعتم " إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريق الالتفات ؛ كأنه ينقل عنهم ما أفسدوه إلى آخرين ، ويقبح عندهم فعلهم ، ويقول لهم : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء ، والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا ، كما تتوزع الجماعة الشيء ويقسمونه فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى .[2]

ثم أصل الكلام وتقطعتم أمركم بينهم على الخطاب فالتفت إلى الغيبة لينعى عليهم ما فعلوا من التفرق في الدين وجعله قطعا موزعة وينهي ذلك إلى الآخرين كأنه قيل ألا ترون إلى عظم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام وفي ذلك ذم للاختلاف في الأصول.[3]

الإلتفات: في قوله تعالى: « إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ، وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ» الالتفات، الأصل في تقطعوا تقطعتم على الأول إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا

[1] : الزمخشري، ج4، المرجع السابق، ص164.

[2] : محي الدين ابن أحمد مصطفى درويش، ج22،المرجع السابق، ص190.

[3] : الألوسي ،ج17، المرجع السابق، ص90.

وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فيجازيهم على ما فعلوا.[1]

وفي الكلامِ التفات من الخطاب وهو قوله «أمتُكم » إلى الغَيْبة تشنيعا عليهم بسوء صنيعهم.[2]

وفي الكلام التفاف من الخطاب وهو قوله :« أُمَّتُكُمْ » إلى الغيبة تشنيعاً عليهم بسوء صنيعهم.[3]

الفرع الثالث: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ يونس (22).[4]

الالتفات من الخطاب الى الغيبة ثم العودة الى الغيبة وذلك **في قوله تعالى:**«هو الذي يسيركم في البر والبحر » الى آخر الآية وقد تقدم القول في الالتفات ونوضحه هنا فنقول: لما كان قوله هو الذي يسيركم خطابا ينطوي على الامتنان واظهار نعمة المخاطبين ولما كان المسيرون في البر والبحر مؤمنين وكفارا والخطاب شامل لهم جميعا حسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيتهيأ قلبه لتذكر وشكر مسديها ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك الى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق هذا من جهة ومن جهة ثانية ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم والتقبيح لما اقترفوه، ففي الالتفات فائدتان وهما المبالغة والمقت والتبعيد، **قال الرازي:** «الانتقال من مقام

[1] : محي الدين درويش، ج6، المرجع السابق،ص359.

[2] : ياسمين الحلبي ابو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط)، دار القلم دمشق، دس، دط، ج8، ص197.

[3] : أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب(تحقيق وتعليق: أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض)، دار الكتب العلمية ، ط1، ج13، بيروت، لبنان،1998م،ص591.

[4] : سورة يونس،(22).

الخطاب الى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت والتبعيد كما أن عكس ذلك في قوله إياك نعبد دليل الرضا والتقريب».[1]

وقوله : «بهم » فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة،**قال الزمخشري:**« فإن قلت ما فائدة صرف الكلام،عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت :المبالغة؛كأنه يذكر لغيرهم حاله ليعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح» .[2]

ومن بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال :وجرين بهم على طريقة الالتفات، أي وجرين بكم .وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال : فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر من عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق تعويلا على القرينة لأن الذين يبغون في الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين.

وهذا ضرب من الالتفات لم ينبه عليه أهل المعاني وهو كالتخصيص بطريق الرمز.

وقد عدت هذه الآية من أمثلة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في ضمائر الغيبة كلها تبعا» للكشاف «بناء على جعل ضمائر الخطاب للمشركين وجعل ضمائر الغيبة لهم أيضا، وما نحوته أنا أليق.

وابتدئ الإتيان بضمير الغيبة من آخر ذكر النعمة عند قوله :وجرين بهم بريح طيبة للتصريح بأن النعمة شملتهم، وللإشارة إلى أن مجيء العاصفة فجأة في حال الفرح مراد منه ابتلاؤهم وتخويفهم.[3]

فإن قلت :ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟

قلت :المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح.[4]

---

[1] : محي الدين درويش، ج4، المرجع السابق، ص226.

[2] : بن عادل الدمشقي، ج10، المرجع السابق، ص292.

[3] : طاهر بن عاشور محمد، ج11، المرجع السابق، ص ص135-136.

اذ يعتبر هذا انتقال من الغيبة الى التكلم او الخطاب اخترت للمطلب الاول فاصلةواحدة وللثاني ثلاثة فواصل.

المبحث الثالث: الالتفات في التكلم

يعد أسلوب الالتفات من أبرز الظواهر البلاغية التي تضفي على الكلام حيوية وتأثيرا خاصا فتستثير ذهن المتلقي وتجدد انتباهه، وفي القرآن الكريم نجد امثلة رائعة للالتفات من ضمير المتكلم الى ضمائر أخرى سواء مخاطب أو غائب وهذ الأسلوب يأتي ليخدم أغراض بلاغية دقيقة ومؤثرة في توصيل المعاني.

المطلب الأول: التكلم الى الخطاب

قال تعالى: ﴿ وما لِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وإليه ترجعون﴾ يس 22

الالتفات في قوله: ﴿ وما لِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾(يس 22) [1] وفائدته أن انتقاله من مخاطبتهم ومناصحتهم إلى التكلم تلطفا بهم من جهة ووعيدا لهم من جهة ثانية، فقد صرف الكلام أولا إلى نفسه وأراهم أنه لا يختار لهم إلا ما يختاره لنفسه، ثم التفت إلى مخاطبتهم ثانيا مقرعا مهددا بالعواقب التي تنتظرهم، ثم عاد أخيرا إلى التلطف في النصيحة لأن ذلك أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، وقد وضع قوله :مكان قوله: ﴿ وما لِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾، وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، ألا ترى إلى قوله ﴿وإليه ترجعون﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ ، فانظر أيها المتأمل إلى هذه النكت الدقيقة التي تمر عليها في القرآن الكريم وأنت تظن أنك فهمت فحواها واستنبطت رموزها[2].

---

[4] : الزمخشري، ج2، المرجع السابق، ص338.

[1] : (سورة يس: 22).

[2] : محي الدين درويش، ج8،المرجع السابق، ص190.

ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، ولقد وضع قوله وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي مكان قوله: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم. ألا ترى إلى قوله وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع.

وان لم يصرح بالالتفات لكنه ذكر تلوين الخطاب.[1]

﴿وما لِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ تَلَطُّفٌ في إرْشادِ قَوْمِهِ بِإيرادِهِ في مَعْرِضِ المُناصَحَةِ لِنَفْسِهِ وإمْحاضِ النُّصْحِ حَيْثُ أراهم أنَّهُ اخْتارَ لَهم ما يَخْتارُ لِنَفْسِهِ، والمُرادُ تَقْرِيعُهم عَلى تَرْكِ عِبادَةِ خالِقِهِمْ إلى عِبادَةِ غَيْرِهِ كَما يُنْبِئُ عَنْهُ قَوْلُهُ :﴿وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ مُبالَغَةً في تَهْدِيدِهِمْ بِتَخْوِيفِهِمْ بِالرُّجُوعِ إلى شَدِيدِ العِقابِ مُواجِهَةً وصَرِيحًا. ولَوْ قالَ: "وإلَيْهِ أُرْجَعُ" كانَ فِيهِ تَهْدِيدٌ بِطَرِيقِ التَّعْرِيضِ، وعَدَ التَّعْبِيرُ بِـ: "إلَيْهِ تُرْجَعُونَ" بَعْدَ التَّعْبِيرِ بِـ: "ما لِيَ لا أعْبُدُ" مِن بابِ الِالتِفاتِ.[2]

فَقالَ :﴿وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أيْ خَوْفُكم مِنهُ ورَجاؤُكم فِيهِ فَكَيْفَ لا تَعْبُدُونَهُ ؟ ولِهَذا لَمْ يَقُلْ: وإلَيْهِ أرْجِعُ، كَما قالَ فَطَرَنِي.[3]

المطلب الثاني: التكلم الى الغائب

الفرع الاول: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، الأعراف(157).[4]

وفي قوله: ورسوله النبيء الأمي التفات من التكلم إلى الغيبة لقصد إعلان تحقق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] : الزمخشري ، دط، ج5، ص 122.

[2] : الألوسي ،ج22، المرجع السابق، ص398.

[3] : الإمام الرازي، ط3،ج26، المرجع السابق، ص264.

[4] : (سورة الأعراف، 157).

ووصف النبيء الأمي بالذي يؤمن بالله وكلماته، بطريق الموصولية للإيماء إلى وجه الأمر بالإيمان بالرسول، وأنه لا معذرة لمن لا يؤمن به من أهل الكتاب، لأن هذا الرسول يؤمن بالله وبكلمات الله، فقد اندرج في الإيمان به الإيمان بسائر الأديان الإلهية الحق.[1]

فإن قلت: هلا قيل: فآمنوا بالله وبى، بعد قوله: إنى رسول الله إليكم؟ قلت: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أنّ الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمى الذي يؤمن بالله وكلماته، كائناً من كان، أنا أو غيرى، إظهاراً للنصفة وتفادياً من العصبية لنفسه[2].

والفاءُ في قولِه تعالى :﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ﴾، لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته صلى الله عليه وسلم وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة المبالغة في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله} النبى الامى {لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين.[3]

الفرع الثاني: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣﴾(الكوثر 1،2،3).[4]

والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله :﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ دُونَ: فَصَلِّ لَنا، لِما في لَفْظِ الرَّبِّ مِنَ الإيماءِ إلى اسْتِحْقاقِهِ العِبادَةَ لِأجْلِ ربُوبِيَّتِهِ فَضْلًا عَنْ فَرْطِ إنْعامِهِ. وإضافة (رب) إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبيء صلى الله عليه وسلم وتقريبه.[5]

---

[1] : الطاهر ابن عاشور محمد، ج9، ص141.

[2] : الزمخشري محمود بن عمر أبو القاسم ،ج3، مرجع سابق، ص319.

[3] : ابي السعود ، ج3، المرجع السابق، ص281.

[4] : الكوثر:(1-2-3)

[5] : الطاهر ابن عاشور محمد، ج30، المرجع السابق، ص574.

وفي قوله: «فصل لربك» التفات من التكلّم إلى الغيبة، والأصل فصّل لنا ولكنه عدل عن ذلك لأن في لفظ الرب حثّا على فعل المأمور به لأن من يربيك يستحق العبادة[1].

الفرع الثالث: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، الزمر (53)[2].

الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله من رحمة الله لتخصيص الرحمة بالاسم الكريم.[3]

قوله:﴿قل ياعبادي﴾ قيل في هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة، منها :إقباله عليهم ونداؤهم، ومنها :إضافتهم إليهإضافة تشريف، ومنها :الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿من رحمة الله﴾.[4]

و قوله تعالى: ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم. ... ﴾، الآية لما ذكر الوعيد أردفه بشرح كمال رحمته وفضله، قيل : في هذه الآية أنواع من المعاني والبينات حسنة منها إقباله عليهم ونداؤهم ومنها إضافتهم إلى الله إضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم إلى الخطاب، في قوله : ﴿من رحمة الله﴾، ومنها إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى.[5]

اخترت كذلك للتكلم الى الخطاب فاصلة واحدة أما من التكلم الى الغائب ثلاثة فواصل .

وهناك تقسيم آخر للالتفات ولكن ليس من باب الضمائر، ولكن من باب العدد من حيث الافراد و التثنية والجمع، وهي كالآتي:

1 -الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ﴾(يونس: 78)[6] , انتقل من خطاب الواحد: (أَجِئْتَنَا) إلى خطاب الاثنين (لَكُمَا).

---

[1] : محي الدين ابن أحمد مصطفى درويش، ج10، المرجع السابق، ص599.

[2] : سورة الزمر،(53).

[3] : محي الدين درويش، ج8، المرجع السابق، ص436.

[4] : السمين الحلبي،ج9، المرجع السابق، ص434.

[5] : بن عادل الدمشقي، ج16، المرجع السابق، ص527.

[6] : سورة يونس(78).

2 -الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع؛ كقوله سبحانه: ﴿أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾(الطلاق: 1)[1] . انتقل من خطاب الواحد: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) إلى خطاب الجمع (طَلَّقْتُمُ)، (فَطَلِّقُوهُنّ).

3 -الانتقال من خطاب الاثنين إلى خطاب الواحد؛ كقوله سبحانه: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾(طه:117).[2] انتقل من خطاب الاثنين (يُخْرِجَنَّكُمَا) إلى خطاب الواحد (فَتَشْقَى).

4 -الانتقال من خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾(يونس: 87) [3]. انتقل من خطاب الاثنين (تبوآ) إلى خطاب الجمع: (وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ).

5 -الانتقال من خطاب الجمع إلى خطاب الواحد؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾(البقرة: 38)[4]. انتقل من خطاب الجمع (قُلْنَا) إلى خطاب الواحد (مِّنِّي) .

6 -الانتقال من خطاب الجمع إلى خطاب التثنية؛ كقوله سبحانه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا﴾(الرحمن: 33)، ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(الرحمن: 34) [5] ,انتقل من خطاب الجمع (اسْتَطَعْتُمْ) إلى خطاب التثنية (تُكَذِّبَانِ)، ولم يقل: (تكذبون).

وثمة أقسام أُخرى لأسلوب (الالتفات) متعلقة بعنصر الزمن، كالالتفات من الفعل الماضي إلى الأمر، ومن المضارع إلى الأمر، ومن الماضي إلى المضارع. ولا يسعف المقام بتفصيل القول فيها.

[1] : سورة الطلاق(1).

[2] : سورة طه(117).

[3] : سورة يونس(87).

[4] : سورة البقرة(38).

[5] : سورة الرحمان(33-34).

خلاصة الفصل:

وعلى ضوء ما سبق نقول :

- إن الالتفات يعد أسلوباً بلاغياً من أساليب التعبير البيانية التي تميز بها القرآن الكريم، والتي لا تكاد تخلو منه سورة من سوره؛ لاسيما أساليب القول وطرقه، إذ ينتقل الكلام من التكلُّم إلى الخطاب وإلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم وإلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم وإلى الخطاب.
- فهذه التقسيمات، ينتج عنها ستة أساليب بلاغية، تمثل أبرز أساليب الالتفات عند جمهور البلاغيين، ففصلنا فيها ووضحنا دلالتها.
- وهناك أساليب أخرى للالتفات تضمنها البحث، وهي: (انتقال الكلام من خطاب الواحد إلى الاثنين، وإلى الجمع والعكس وهكذا ...)، وقد تطرقنا إليه بإيجاز خلال الفصل.
- وكما وجد نوع أخر من الإلتفات والذي هو: انتقال الفعل من المستقبل إلى الأمر، ومن الماضي إلى المستقبل، ومن المستقبل إلى الماضي، لم يسع المقام لبيانه وشرحه.

خاتمة

خاتــمة:

بعد هذه الدراسة في رحاب القرآن الكريم وتفسيراته العظيمة وأقوال العلماء الأجلاء العارفين بأسرار كتابه العظيم ,وتحليل آياته القرآنية المتضمنة الظاهرة البلاغيةالفريدة من نوعها, و الخوض واستعراض أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وتتبع أسراره وأهم الجوانب المتعلقة به نختم البحث بالنتائج المتوصل إليها مرتبة حسب الفصول والمباحث.

- لاتخلو سورة من سور القرآن الكريم من الالتفات مما يدل على أنه ظاهرة متكررة ,له أهمية و مكانة خاصة في الخطاب القرآني واللغة العربية التي أنزل بها القرآن الكريم .
- تدرج مفهوم الالتفات من حصره وتقييده عند القدامى "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم, الخطاب و الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها" .الى التوسع والتسهيل "صرف الكلام من أسلوب الى آخر" .
- الزمخشري في تفسيره الكشاف ذكر الفائدة العامة للالتفات بقوله أن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر ايقاظا للإصغاء إليه وهي بيان الإعجاز القرآني مع وجود فوائد وأسرا ر ومزايا خاصة في كل آية تختلف عن آية أخرى، منها قصد التوبيخ, قصد الإهتمام, قصد الدلالة على الإختصاص ,قصد المبالغة.
- تبين لنا أن الالتفات أسلوب بياني بديع يحمل دلالات بلاغية عميقة ويسهم في إضفاء الحيوية و التجدد على النص القرآني سواء انتقال من ضمير لآخر أو من فعل إلى فعل أو من خطاب بصيغة المفرد الى الجمع أو العكس وكل ذلك لم يكن اعتباطيا بل جاء محكوما بسياق النص معززا لمعانيه, وموجها للمتلقي, نحو تأمل أعمق و فهم أدق .

- تتجلى من خلال دراسة أسلوب الإلتفات إعجاز القرآن البياني و استخدام الإلتفات لإثارة الإنتباه و التشويق وتغيير الإيقاع النفسي لدى السامع مما يجعله أكثر تفاعلا و تأثيرا بالخطاب .

فهرسة المراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

أولا: الكتب:

1- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الحلبي، ج2، مصر،1939م.

2- ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية: بيروت، دون طبعة، الجزء1.

3- ابن جني، الخصائص، تح :محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دون طبعة، دون سنة النشر.

4- ابن فارس الصاحبي، في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح :مصطفى الشويمي، مؤسسة بدارن للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، دون طبعة ، 1963م.

5- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم الى مرايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

6- أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب(تحقيق وتعليق: أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض)، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى، الجزء13، بيروت، لبنان،1998م.

7- أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم،تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية: ، الطبعة السابعة، بيروت ،2000م .

8- أبي حيان الاندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الفكر بيروت، 2000م.

9- أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول، 2003م.

10- إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر، الالتفات في القرآن الكريم مقاصده البلاغية والإعجازية، دار معتز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2017م.

11- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، الجزء16، 1994م.

12- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن الجوزي، القاهره، المجلد 1.

13- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

14- الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، الطبعة الأولى، 1430ه ، الجزء1.

15- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ،الجزء3.

16- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الاولى، 1983م

17- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون طبعة، دون سنة النشر، الجزء2.

18- رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، الطبعة الثانية، دون سنة النشر.

19- عبد الرحمان بن علي الجوزي، غريب الحديث، تحقيق: د عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء2، 1985م.

20- عبد الناصر هلال، الالتفات البصري في النص إلى الخطاب قراءة في تشكيل القصيدة الجديدة، دار الإيمان للنشر والتوزيع ، دون الطبعة، دون سنة النشر.

21- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الحصلي، *البصروي، الشافعي، ثم الدمشقي ، تفسير ابن كثير ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة الأولى، 1990 م.*

22- عمارة عبد المالك، بلاغة الالتفات في القران الكريم(دراسة تفسيرية)، دون طبعة، سنة 2024م.

23- غالب بن محمد أبو القاسم حامضي، أسلوب الالتفات وأقسامه في القرآن الكريم، مجلد 1.

24- فخر الدين محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د إبراهيم السامرائي، د محمد بركات حمدي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دون طبعة، 1985م.

25- محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون طبعة، الجزء1.

26- محي الدين ابن أحمد مصطفى درويش ، إعراب القرآن وبيانه،دار الإرشاد للشؤون الجامعية، الطبعة الرابعة، الجزء5، 1418هـ.

27- مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، دون طبعة، 2009م.

28- ياسمين الحلبي ابو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (تح: الدكتور أحمد محمد الخراط)، دار القلم دمشق، دون طبعة، الجزء8.

ثانيا: معاجم:

- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، طبعة الاولى، الجزء2.

ثالثا: محاضرات:

- يحيى بن عبدربه بن حسن الزهراني، من أسرار الالتفات في القرآن الكريم، مجموعة محاضرات بكلية التربية بقسم المواد العامة، جامعة جدة.

رابعا: مذكرات:

- سبع بلمرسلي، الالتفات ودلالته في القرآن الكريم، مذكرة ماجستير، جامعة وهران ، السانية، السنة الجامعية، 2005-2006.

خامسا: الانترنيت:

- https://ketabonline.com/ar/books/92372/read?page=13&part=1#p-92372-13-2
- https://quran-tafsir.net/alrazy/sura10-aya104.html#p2

فهرسة المحتويات

المحتوى	الصفحة
بسملة	-
اهداء	-
شكر وعرفان	-
ملخص المذكرة	-
مقدمة	أ
الفصل الأول: الالتفات عند البلاغيين	3
تمهيد	3
المبحث الأول: مفهوم الالتفات و أقوال البلاغيين فيه	4
المطلب الأول: تعريف الالتفات	4
الفرع الأول: تعريف الالتفات لغة	4
الفرع الثاني: تعريف الالتفات اصطلاحا	7
المطلب الثاني: أقوال البلاغيين في الالتفات	10
الفرع الثاني: أقوال البلاغيين المحدثون	12
المبحث الثاني: شروط الالتفات وفوائده	14
المطلب الأول: شروط الالتفات	14
الفرع الأول: أن يكون الالتفات في الجملتين ولا يكون في جملة واحدة	14
الفرع الثاني: أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر الملتفت عنه بعد التعبير عنه بأخر منها	14
الفرع الثالث: مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر	15
الفرع الرابع: أن يكون المخاطب بالكلام في الحالين واحد	16
المطلب الثاني: فوائد الالتفات	17
الفرع الأول: الفوائد العامة للالتفات	17
الفرع الثاني: الفوائد الخاصة للالتفات	20
أولا: قصد تعظيم شأن المخاطب	20
ثانيا: إنتقال خطاب الغائب الى الحاضر	20
ثالثا: التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه	20
رابعا: أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب	21
خامسا: قصد المبالغة	21
سابعا: قصد الإهتمام	21

ثامنا: قصد التوبيخ	22
المبحث الثالث: أقسام الالتفات	23
المطلب الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب ومن التكلم إلى الغيبة.	23
الفرع الأول: الالتفات من التكلم الى الخطاب	23
الفرع الثاني: الالتفات من التكلم إلى الغيبة	24
المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى التكلم ومن الخطاب إلى الغيبة	26
الفرع الأول: الالتفات من الخطاب إلى التكلم	26
الفرع الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	27
المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم ومن الغيبة إلى الخطاب	28
الفرع الأول: الالتفات من الغيبة إلى التكلم	28
الفرع الثاني: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب	30
خلاصة الفصل الأول	32
الفصل الثاني : فواصل مختارة للالتفات في القرآن الكريم	33
تمهيد	34
المبحث الأول: الالتفات في الغيبة	35
المطلب الأول: الغيبة الى التكلم	35
الفرع الأول: ﴿سُبْحَانَ ٱلذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	35
الفرع الثاني: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾	38
المطلب الثاني: الالتفات من الغيبة الى الخطاب	40
الفرع الأول: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**	40
الفرع الثاني: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾	42
المبحث الثاني: الالتفات في الخطاب	43
المطلب الأول: الخطاب إلى التكلم	43
الفرع الأول:﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾	43
الفرع الثاني: ﴿قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾	43
المطلب الثاني: الخطاب إلى الغائب	44

الفرع الأول ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾	44
الفرع الثاني: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾	45
الفرع الثالث: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	47
المبحث الثالث: الالتفات في التكلم	49
المطلب الاول: التكلم إلى الخطاب	49
قال تعالى: ﴿ وما لِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وإليه ترجعون﴾	49
المطلب الثاني: التكلم الى الغائب	50
الفرع الاول: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	50
الفرع الثاني: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣﴾	51
الفرع الثالث: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	52
خلاصة الفصل	54
خاتمة	55
فهرسة المراجع	59
فهرسة المحتويات	63